

كتاب اليوم

قطاع الثقافة

مساافر بلا متاع

محمود السعدني



السعدني

الأدب والحياة

بقلم : رجاء النقاش

هناك كثيرون من الكتاب والأدباء يعيشون حياتهم العادية ، ثم عندما يريدون أن يكتبوا فإنهم ينفصلون عن الحياة ويعتكفون من أجل الكتابة . محمود السعدنى لا يفعل ذلك أبدا .

إنه يكتب وهو يعيش . فليس أدبه تابعا من الحياة كما يقال .. إنه الحياة نفسها ، تلك الحياة التى عاشها السعدنى واكتوى بنارها ولم يعرف فيها الهدوء والعزلة أو الأبواب المغلقة والنوافذ المسدودة ، فالحياة عند السعدنى لا فرق فيها بين البيت والغيط أو بين العمل والعلاقات الإنسانية المختلفة .. وهذه الحياة تشبه النهر

المتدفق ، فيه الماء والطمى والأعشاب والأسماك والحصى .

وعندما تلتقى بالسعدنى فإنك تجد حوله مجموعة من الأصدقاء القريين إليه بنفس الدرجة وبينهم الفلاح والعامل وحامل الدكتوراه والفنان اللامع والقهوجى والضحفى الناشئ ولواء الشرطة والمقاول وشيخ المسجد والمصلى فيه وقارئ القرآن والرسام ، والذى يطلب عوناً والذى يمنح العون . أشكال وأوان من البشر ، فى ذلك الصندوق العجيب الذى يشبه صندوق الدنيا والذى كنا نسميه فى طفولتنا باسم صندوق العجب ، وهو الاسم الصحيح بغير تعديل ولا تحريف .

السعدنى يكتب وهو غارق فى حياته ، إنه يكتب ويعيش فى نفس اللحظة والكتابة والحياة عنده لهما نفس المعنى ، فارتباط الكتابة بالحياة ظاهرة أساسية فى كتابة السعدنى تليها ظاهرة ثانية .. لقد أمسك الفقر برقاب الكثيرين من الشخصيات التى كتب عنها محمود السعدنى هؤلاء الذين يعيشون على هامش المجتمع لا يعترف بهم أحد وليس لهم بعد مكان فى واقع المجتمع .. هذا الفقر تحول فى كتابات السعدنى إلى نوع من الأدب الغنائى الجميل . فقد اكتشف السعدنى بموهبته وعمق تجربته تلك

الجوانب الإيجابية التى يكتشفها أذكىاء الفقراء ويفترضون وجودها فى فقرهم حتى يتمكنوا من احتمالها إلى أن يشاء الله ، ومن هذه الإيجابيات ما كان الفقر يعطيه للإنسان من حرية الحركة بدون قيود أو التزامات . ومن إحساس شديد الرحابة بامتلاك الزمان والمكان فهم يمتلكون الشوارع وشاطئ النهر وأطراف الصحراء والحقول المزروعة والأرض الجرداء ، وكانوا يمتلكون الزمان كله فيلتقون فى منتصف الليل أو عز الظهيرة ، ومما ساعد محمود السعدنى على أن يكتشف الجوانب الإيجابية فى حياة الفقراء ويصورها فى سخرية غنائية جميلة ويلتقط منها صوراً حية مؤثرة أن السعدنى كان قد استطاع الإفلات منذ البداية من الفقر الساحق الذى لا يتيح لصاحبه أن يلتقط أنفاسه واستطاع مع مجموعة من الأصدقاء مثل عبد الحميد قطامش وزكريا الحجاوى أن يصبحوا من كبار الفقراء وأعيانهم وعلية القوم فيهم ، وقد أتاح له هذا الأمر العجيب ما يتمتع به إلى جانب موهبته الأدبية من صفات أخرى هى جزء لا يتجزأ من شخصية السعدنى وعلى رأس هذه الصفات أنه أحد الساخرين اللامعين ، بل إنه أكثر الساخرين فى جيلنا شمولاً وخصوبة .

محفوظ . فتجيب قد ظل في حياته كلها وأدبه كله يرفرف
بوجدانه حول منطقة الحسين الشعبية بشوارعها
وحواربها الضيقة وملامحها الإنسانية الخاصة ، حتى
أصبحت هذه المنطقة الشعبية هي الواقع والرمز معا في
أدبه ، فالعالم عند نجيب محفوظ هو الحارة ، والقوة عنده
- في هذه الدنيا - تتمثل في الفتوات ، والجمال الأنثوي
في معظم رواياته هو الجمال الذي تمثله بنت البلد الشعبية
في خان الخليلى وزقاق المدق ، والحرافيش في هذه البيئة
هم أبناء المجتمع وهم أيضا رمز للجنس البشرى كله .. إن
خيال نجيب محفوظ ووجدانه وعاطفته ورؤيته لمشاكل
المجتمع ومشاكل الإنسانية قد ارتبطت جميعا بهذه البيئة
الشعبية التي لم تفارق خياله قط ، ولم يستطع أن يبتعد
عنها في يوم من الأيام .

السعدنى من هذه المدرسة ، فهو أيضا مرتبط بالمكان
ويشعر دائما أن هذا المكان هو المجتمع وهو الحياة ،
ومهما ابتعد عن هذا المكان بجسمه فهو متشبث به عن
طريق وجدانه وعقله . وهو لا يحس بمعنى للحياة خارج
هذا المكان .. والمكان عند السعدنى هو الجزيرة بحواربها
وأزقتها الضيقة وأبنائها الذين يعيشون فيها هم وأهلهم ،
جيلا بعد جيل . ولذلك فإن لغة السعدنى من شدة تأثره

صحيح أن محمد عفيفى - رحمه الله - كان ساخرا
عظيما جدا ونادرا كل الندرة عندما كان يمسك بقلمه ،
ولكن محمد عفيفى كان وديعا في حياته وسلوكه مثل
العصافير ، بل كان مليئا بالخجل والحياء والرغبة في
الانسحاب من المجتمع أما السعدنى فهو ساخر « مسلح »
أى أنه ملئ بالجرأة والجسارة والقدرة على الاقتحام ،
ويكفى أن يظهر السعدنى على مسرح جلسة من الجلسات
مهما كان فيها ممن قد يكونون كبارا في الثروة والمركز أو
الوضع الاجتماعى حتى تتحرك الكهرياء التى فى
السعدنى فتزيل الفوارق بينه وبين الآخرين وتسقط
الحواجز ، ثم تفتح الأبواب المغلقة والنفوس المتحفظة
وتخرج أسرار الناس المختبئة فى أعماقهم إلى الضوء
والنور .

وهكذا أتى للسعدنى أن يعرف الكثير من أسرار
المجتمع بمن فيه من اليسورين والفقراء على السواء ، مما
أعطاه تلك المادة الإنسانية الغزيرة فى كتاباته ، ويجب ألا
ننسى بعد ذلك كله ما للمكان من أهمية بالغة عند
السعدنى .. فارتباطه الوجدانى بالمكان يكاد يكون سرا من
أسرار كتاباته وشخصيته وحياته ، وهو من هذه الناحية
- ناحية الالتصاق بالمكان - يعتبر من مدرسة نجيب

بالمكان الذي عاش فيه وكان على الدوام عاشقا له ولم يستطع أن ينفصل عنه حتى لو كان في أقصى الأرض .. لغة السعدنى ابن الجيزة لها صوت مسموع ، فكانك وأنت تقرأ له تسمعه فى نفس الوقت وهو يتكلم ويقفز من بين الكلمات والعبارات والسطور . إن الأصول الجيزاوية الشعبية عند السعدنى قوية جدا وهى المسيطرة على موهبته وأسلوبه وتصويره لكل تجارب الحياة ونماذجها المختلفة .

ولو وضعت السعدنى فى لندن أو نيويورك أو باريس لسنوات طويلة فإنه لن يرى فى هذه المدن إلا ما عرفه فى الجيزة أو عن الجيزة وهذا الموقف عند السعدنى يذكرنى بأشعار بيرم التونسي التى قالها عندما هرب فى بورسعيد من السفينة التى كانت تحمله من دمشق إلى فرنسا ليواصل حياته فى المنفى :

وأقول لكم بالصراحة اللى فى زماننا قليلة
عشرين سنة فى السياحة وأشوف مناظر جميلة
ماشفت يا قلبى راحة فى دى السنين الطويلة
إلا ما شفت البراقع واللبدة والجلابية

رجاء النقاش

مسافر بلا متاع

فى يوم ٢٣ ديسمبر عام ١٩٨٢ ركبت الطائرة المصرية من الشارقة إلى القاهرة ، ولم يكن معى متاع على الإطلاق سوى حقيبة سامسونبايت صغيرة بها أجندة تليفونات وبعض الأوراق ودوسيه يضم بعض المقالات التى كنت أزمع إصدارها فى كتاب ، ولم أكن قد رأيت القاهرة منذ مائة شهر ، مارست خلالها لعبة دوخينى يا لمونة .. من القاهرة إلى لندن ومن لندن إلى الإمارات ومن الإمارات إلى بيروت ومن بيروت إلى ليبيا التى مكثت بها عشرين يوما ومن ليبيا إلى مالطة ومن مالطة إلى لندن ومن لندن إلى الإمارات من جديد ومكثت هناك ثمانية أشهر ثم اضطررتنى ظروف معينة إلى الرحيل إلى الكويت ومكثت فى الكويت ستة أشهر ، ثم اضطررتنى ظروف قاسية

للسفر إلى العراق حيث مكثت هناك مع أسرتي لمدة ست سنوات استأجرت منزلا لأسرتي في بغداد وألحقت أولادي بالجامعة .. وعدت من جديد إلى لندن حيث أصدرت إحدى المجلات هناك وأصبحت مثل الخواجا كيسنجر أقوم برحلات مكوكية من لندن إلى بغداد وبالعكس . ثم تركت بغداد في العام ١٩٨١ مع ابني أكرم وسافرت إلى الشارقة ، ومكثت في الشارقة حتى حدث حادث المنصة وبقيت هناك حتى عدت إلى بغداد مرة أخرى حيث قمت بتسفير أسرتي إلى القاهرة وذهبت أنا إلى الشارقة ، ومن هناك ركبت الطائرة المصرية إلى القاهرة . عندما انفتح باب الطائرة على أرض المطار وجدت أسفل السلم ثلاثة أشخاص في انتظارى : اللواء فؤاد علام من مباحث أمن الدولة مندوبا عن وزير الداخلية حسن أبو باشا وشقيقى الممثل الكبير صلاح السعدنى وابنه أحمد السعدنى وكان فى الرابعة من عمره ولم يكن قد سبق له رؤيتى من قبل ، وكان تعليقه الوحيد حين رأتى : إيه دى يا بابا عمو من غير رأس ، وكان يقصد أننى أصلع ومن غير شعر ، وتناول اللواء فؤاد علام جواز سفرى وأعطاه لأحد رجال البوليس لكى ينهى الإجراءات ، واصطحبني فى سيارة مع صلاح وابنه ،

ووجدت نفسى خارج المطار . لقد أصبحت أخيرا فى مصر .

استفتاء شعبى

يا ألف مرحب بمصر وبناسها وبأرضها وبهوائها وشمسها ، وبكل حفنة تراب فيها ، وعلى الرصيف استأذن اللواء فؤاد علام ومضى إلى حال سبيله . وصحبنى صلاح السعدنى فى سيارته وراح يشق طريقه فى شوارع المدينة التى تغيرت كثيرا بعد هذه الغيبة الطويلة ولكن على رأى شارلز ديكنز .. من أنا الذى يعيب على المدينة أنها تغيرت وقد عدت إليها أنا نفسى وقد غيرت منى الأيام . هأنذا بلا رأس على رأى الولد الشقى ابن صلاح وبلا عمل لأنى مفصول بقرار جمهورى باطل ولا أمل فى أى عمل آخر لأننى ممنوع من العمل فى أى فرع من فروع الإعلام بمقتضى استفتاء اشترك فيه الشعب المصرى كله وجرى بإشراف وزير الداخلية النشيط السيد النبوى إسماعيل . وقد وافق الشعب المصرى كله بنسبة ٩٩,٩٩٩ على عدم اشتغال أمثالى من المتهمين فى قضية مراكز القوى فى أى مجال من مجالات الإعلام . استفتاء شعبى لا يمكن تجاهله أو تجاوزه أو القفز عليه . ماذا يخبىء القدر للعبد لله ؟ وما الذى تخفيه

الأيام القادمة ؟ شعرت بأسف شديد وخوف من المستقبل ، وتصورت أنى جيئت قبل موعدى ، ولكن ظنى كان خاطئا ، ومخاوفى كانت على غير أساس ، وبعد ثلاثة أيام من عودتى إلى القاهرة ، كنت أجلس مع الرئيس حسنى مبارك فى حديقة منزله ، واكتشفت خلال اللقاء أن الرئيس حسنى مبارك ليس من النوع الذى يحاسب الناس على ما فى أدمغتهم ولا يحاسبهم على مواقف سابقة ، ولكن الحساب عنده يبدأ من أول جديد . أغلقت الملفات القديمة وتم فتح ملفات جديدة ، والحساب على أساس الانتماء الوطنى والالتزام بالقيم والأخلاق ، ولا خلاف إذا اختلفت معه فى السياسة ، مادام الاختلاف بالقلم أو باللسان ، الأمر الوحيد المحذور أن تستخدم السلاح فى النقاش أو تستخدم القنابل فى الجوار أو تكون المطواة قرن الغزال هى وسيلتك فى الإقناع . بعد ذلك كل شىء مسموح به وكل شىء مباح . وبعد أيام قليلة من مقابلتى لحسنى مبارك كنت جالسا خلف مكتبى فى روزاليوسف نفس المكان الذى كنت أعمل فيه قبل المحاكمة والسجن والهجرة للخارج . واختلفت مع القيادة القديمة لروزاليوسف فأثرت الابتعاد ونشر مقالاتى على صفحات المصور بلا أجر منذ بدأت وحتى الآن مكتفيا بمرتبى من روزاليوسف . وعارضت الحكومة كثيرا

واختلفت مع الحزب الوطنى ، وهاجمت وزراء ومحافظين ومسؤولين كبارا ، واختلفت مع كامب ديفيد واتفاقية السلام ولم يستوقفنى أحد ولم يلفت نظرى أحد . وكنت ألتقى بالرئيس مبارك فى مناسبات كثيرة ولم أجد منه إلا كل الود والترحاب . وامتد نشاطى إلى الأهرام الرياضى مع إبراهيم حجازى وإلى مجلة الشباب مع عبد الوهاب مطاوع وإلى أخبار اليوم مع إبراهيم سعده ، وامتد نشاطى إلى الوطن العربى ، فنشرت فى البيان فى دولة الإمارات وفى الشرق الأوسط فى لندن وبعدها فى صوت الكويت فى لندن أيضا .

العائلة كلها

وبالرغم من الاستفتاء المشهور إياه الذى منعنى من الاشتغال فى أى مجال إعلامى ، فقد أصبحت الآن عضوا بالمجلس الأعلى للصحافة ولعل السيد النبوى إسماعيل سيشعر بالضيق الآن ، لأن الاستفتاء الذى أشرف على تنفيذه بكفاءة منقطعة النظير قد دفعنى إلى أعلى بدلا من دقنى فى التراب ، وابنى أكرم يعمل صحفيا فى روزاليوسف ، وابنتى هالة تعمل مذيعا فى التلفزيون المصرى وهبة تعمل فى مؤسسة الأهرام وحفيدى محمود أكرم السعدنى وعمره خمس سنوات يتدرب الآن ليعمل

محررا فى الأهرام وربما فى الأخبار وربما فى مجلة آخر ساعة وهو أضعف الإيمان .

هل كان يمكن أن يحدث هذا فى ظل رئيس آخر غير حسنى مبارك فى مصر . اليوم لا توجد نية مبيتة للإيقاع بك ولا توجد فخاخ منصوبة على الطريق للإمساك بك ، أشعر شعورا حقيقيا الآن أن أسعد سنوات حياتى بدأت سنة ١٩٨٣ واستمرت حتى الآن . وبالرغم من اختلافى مع الحزب الوطنى ومهاجمتى لكثير من سياسات الحزب وانتقادى الشديد لها ، إلا أننى فى الوقت نفسه صديق للدكتور يوسف والى الأمين العام للحزب الوطنى ، ولبلدياتى كمال الشاذلى . وبالرغم من هجومى المتكرر على الحكومة واختلافى معها بشأن بعض الممارسات ، إلا أننى صديق رئيس الحكومة . وبالرغم من هجومى الشديد على أجهزة الإعلام إلا أننى اعتبر نفسى من أصدقاء صفوت الشريف . وبالرغم من ملاحظاتى على أداء الإدارة المحلية وبعض رموزها الذين تورطوا فى أمور لا تليق ، أجد نفسى صديقا حقيقيا للدكتور عبد الرحيم شحاته محافظ القاهرة والسيد عبد السلام محجوب محافظ الإسكندرية والسيد أحمد عبد الغفار محافظ الغربية ، ولكل الشرفاء والذين يعملون بكفاءة وإخلاص

من كبار رجال الدولة فى كل موقع ، أما خلافى مع الآخرين فقد كان لصالح الوطن وليس من أجل هبرة كدبره على رأى فؤاد المهندس !

صوتى له

والآن وبالرغم من اختلافى مع الحكومة ومعارضتى للحزب الوطنى ودخولى فى معارك مع الأرزقية والمقربحين ، إلا أننى سأعطى صوتى للرئيس حسنى مبارك عندما يحين الوقت لتجديد رئاسته لمصر لفترة أخرى . الرئيس الذى لا يتعقب أحدا من رعاياه ولا يتربص له ولا يخلق الأسباب للإيقاع به ، الرجل الذى أشعر أننى لن أدخل السجن فى ظله إلا إذا ارتكبت جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد ، أو ارتكبت جريمة سطو على خزائن البنك الأهلى ، ولما كانت صحة العبد لله لا تساعد على ارتكاب أفعال من هذا النوع ، فأنا ضامن أنى لن أدخل السجن مهما عارضته أو اختلفت معه طالما كان الخلاف فى حدود اجتهاد من أجل مصلحة الوطن ومستقبله ، فهذه مسألة غير محظورة ولا جناح على من يرتكبها من المواطنين . إنه نهج جديد وأسلوب مختلف ، وهذا الأسلوب هو انعكاس لشخصية حسنى مبارك ، فهو لا يحقد ولا يغتاز وليس من النوع الذى يجز

على أسنانه ، ولأنه طيار مقاتل ليلي ، فأعصابه دائما في
ثلاجة ، ولأنه رياضي فمزاجه دائما معتدل إنه لا يشخط
ولا ينظر ولا يصرخ في الفاضية وفي المليانة ، وهو
لا يحب المفاجآت ولا الصدمات الكهربائية ولكن كل إجراء
بحساب وكل خطوة بقدر .

عمنا حسنى مبارك .. أنا لست عضوا في حزبك ،
ولست وزيرا في حكومتك ، أنا مجرد كاتب على باب الله
أمنحك صوتى المتواضع فى الاستفتاء القادم وفى كل
استفتاء قادم ، أعطيك صوتى وأشكرك لأنى أنا المستفيد
لوجودك على رأس الدولة ، فأنت الضمانة الوحيدة لكى
نضمن العيش بهدوء حتى نهاية العمر جعل الله أيامك كلها
سعادة وطمأنينة وأمن .. لك ولنا ولجميع المصريين .

أمين يا رب العالمين !

لا جريدة ولا مجلة

فى بداية حياتى الصحفية أكرمنى المولى
العزيز بالجلوس فى حجرة واحدة مع
العبقري الخالد بيرم التونسى ، وكان بيرم
التونسى فى نظر جيلنا أسطورة من
الأساطير . كان كاتبا ساخرا وشاخرا أيضا ، أصدر أكثر
من عشرين جريدة وصحيفة ، ولكن سلطات الاحتلال
وقفت له بالمرصاد فطارده على طول الخط وصادرت
جميع المجلات والجرائد التى أصدرها ، وكان القانون
وقتئذ يحتم على كل صاحب جريدة أو مجلة الحصول
على ترخيص قبل الصدور .

وقد حاول بيرم عدة مرات الحصول على هذا
الترخيص دون جدوى ، ولكن هذا الموقف الرسمى لم

يصرفه عن تحقيق هدفه فأصدر مطبوعة باسم المسلة وكتب تحتها عبارة .. لا جريدة ولا مجلة .. ولما كانت لا جريدة ولا مجلة فهي لا تحتاج إلى أى ترخيص من أى نوع . ولأن عمنا بيرم كان شعبيا وبسيطا فقد توطلت الصلة بينى وبينه ، وكان فى لحظات صفوه يحكى للعبد لله عن معاناته فى المنفى وعن دوخة ينى التى تعرض لها فى الغربية . النصيحة الوحيدة التى أسداها للعبد لله .. أن أهجر الأسلوب الساخر الذى أكتب به وأوصانى باتباع الأسلوب الحنجورى بحيث تحمل المقالة عدة أوجه .. تقرؤها فتتصور أنها هجاء ويقرؤها غيرك فيتصور أنها مديح ، كلام من نوع الشواشى العليا للبرجوازية والشفق المذهق على قفا الأفق ، كما يكتب السادة الحناجرة ، أو كلام على طريقة السادة السناكحة نسبة إلى سنكوح بن مزاحم الذى كان واليا على ديوان الإنشاء للقائد أبرهة وكان عليه أن يكتب الرسائل والفرمانات بلغة يفهمها جميع البشر من روم ومن عرب وعجم وفرس وزنوج ، فكان يكتب فى رسالته شيئا من شندبار يلوح فى السواهيلى ويكشف عن رجل ملم نشطل مكارف مظرورم على خوشبى أمديد زغتى !

النمر الجريح

وقال لى عمنا بيرم التونسى : إذا التزمت بهذا الأسلوب الساخر خلال حياتك الصحفية ، فستكون حياتك فى مهب الريح وأيامك أسود من الزيتون المدهون بالورنيش ، وليالك يا صاحبى أزرق من الهدوم المصبوغة بالنيلة .

لأنه لا يغيظ المسئول إلا أن تتناوله بأسلوب ساخر يهتك ستره ويكشف حقيقته ويمزق الثوب الكاذب الذى يحرص على أن يظهر به أمام رؤسائه ، لأن المسئول عادة ما يكون مثلنا .. غلبان وتعبان ومهزوم فى داخله ، ولكنه يحرص دائما على الظهور وهو فى مكتبه العاجى ، سواء كان محافظا أو وزيرا أو رئيس مجلس إدارة فى صورة تخالف حقيقته ، فيتعمد أن يعوج رقبتة أو أن ينفخ أوداجه ، فإذا سخرت منه فقد نكأت جراحه ، واللعب فى الجروح يستفز ويهيج صاحبها ويجعل منه وحشا يتصرف كالنمر الجريح !

لعب عيال

ولكن العبد لله لم يستمع - لسوء الحظ - إلى نصيحة عمنا بيرم التونسى ، وأشهد أننى كتبت سطورا ساخرة تجرح وتدمى فى الوقت نفسه ولم يعترض طريقى أحد .

وتناولت شخصيات رسمية كبيرة في حجم وقامة زعماء ورؤساء وزارات ، ونشرت سطورى على صفحات مجلة - كلمة ونص - التي كان يرأس تحريرها الفنان مأمون الشناوى ، ولم يتحرك ضدى أحد ، ربما لأننى كنت صغير السن ومجهول الاسم ، وربما اعتبروا سطورى لعب عيال أو شيطنة صبيان ، ولكنى أخطأت الحساب مرة فتناولت رجلا عظيما بكلمات ساخرة . وكان هذا الرجل هو الشيخ مصطفى إسماعيل . وكانت هذه أول دعوى تنظرها المحاكم ضد العبد لله . وهى مسألة غريبة لأننى كنت أعشق مصطفى إسماعيل واتبعه فى كل مكان يذهب إليه . ولكن النكته حبكت مع العبد لله فكتبت فى نهاية المقال أقول .. والشيخ مصطفى إسماعيل يدخن السجاير .. ويشرب الكازوزة و .. هل أقول .. ؟ لا .. فأنت من عشاق الشيخ مصطفى إسماعيل .. ثم علمت بعد ذلك أن الشيخ لا علاقة له بالدعوى المرفوعة أمام المحاكم ولكنه اجتهاد أحد المحامين النشيطين . وقد تم سحب الدعوى بإشارة من الشيخ نفسه !

الملابس الرسمية

وسخرت جدا من وزراء فى عهد عبد الناصر ، أشهرهم أنور سلامة وزير العمل بخصوص البدلة

الشعبية والمهندس عبد الخالق الشناوى وزير الرى بخصوص الحفل الذى أقامه بخصوص الانتهاء من مشروع هام . وجاء فى بطاقة الدعوة التى وزعها على المدعوين وأنا منهم ضرورة الحضور بالملابس الرسمية . بالنسبة للوزير أنور سلامة انتقدت مسلكه عندما ظهر على شاشة التليفزيون يدعو للبدلة الشعبية بينما كان يرتدى بدلة موهير وقميص نيتو وكرافطة أرجانس وشراب بحرية ولا حربة مقاتل فى أحراش كاتنجا . وبالنسبة لحفل المهندس وزير الرى تساءلت على صفحات مجلة صباح الخير .. ما هى الملابس الرسمية فى نظر الوزير المهندس ؟ هل نحضر بالجلابية السكروتة ؟ أم بالبيجاما والجاكته الصوف ؟ أم يمكننا الحضور بالفانلة واللباس ؟

والحق أقول إن وزير العمل ووزير الرى وهو مهندس عالمى بكل تأكيد تحملا سخرية العبد لله واعتبراها من باب الدعاية والنقد المباح .

السجن لمن ؟

ولكن .. وبالرغم من القهر الأزلى والعذاب الأبدى .. هل أفضل للكاتب الصحفي أن يعيش عيشة موظف الأرشيف ؟ أم يعيش على سن القلم كما يعيش المقاتل على

حد السيف ؟ هل أفضل للكاتب الصحفي أن يكون مثل بيرم التونسي ؟ أم الأفضل أن يعيش عيشة حيرم التونسي ؟ العبد لله يتمنى أن يعيش عيشة بيرم التونسي وأن أحظى بشرف خدمته في كل مكان ولو كان في تخشبية قسم الخليفة ! ولذلك .. العبد لله ينصح الولد الساخر الناشئ أنور وجدى أن يعود إلى سابق عهده ويتحفظنا بلدغاته ضد المسئولين وأشبهاء المسئولين . وقسما عظما أن أقف إلى جانبه في كل الأحوال . وندرا على العبد لله أن أتحكك كل أسبوع بعلبتين سجائر وورقة لحمة وسلطانية طرشي ، سواء كنت في سجن الأوردي أو في سجن المرج . وزمان كان السجن للجدةعان ، وغدا سيكون السجن للصحفيين !

طويل العمر

العبد لله كان قصير النظر وأعمى بصيرة بعيد عنكم . تصورت في شبابي أن الصحة مستمرة والحالة مستقرة ، على وزن الثورة قائمة والكفاح دوار . عندما كنت في الخامسة والعشرين كنت إذا تعرفت على رجل في الستين من عمره ، قلت بيني وبين نفسي .. يا خير أبيض ، لسه عايش لحد دلوقت ؟! وإذا رأيت أحدهم يبكي على ميت رجل في السبعين عاما قلت .. يعنى بيعيطوا على شبابه . وعندما وصلت إلى الخامسة والثلاثين أصدرت أول جزء من مجموعة « الولد الشقي » وقلت فيه بالحرف الواحد : أتمنى أن أعيش إلى سن السبعين ، فأنا أخاف الموت والنوم في المقابر المهجورة وأخشى أن أتحول إلى وجبة لكلب صايح أو كلب جائع .

ضحيتها عدد من الشهداء أشهرهم عبد الحكيم الجراحي
رحمة الله عليه ورضوانه . ثم جاءت الحرب العالمية الثانية
وازدحمت مصر بجنود من جميع الملل والألوان ، إخوان
سود من جنوب أفريقيا وحتى السنغال وعساكر من
أوروبا ومن أمريكا وعمالقة من استراليا ونيوزلندا
وجنود من آسيا وبلاد تتركب الأفيال ومناظر وأشكال
ما أنزل الله بها من سلطان . وأوضاع تصلح مسلسلات
تليفزيونية فشر سلسلة فوزية فراويلا والسحت وعباس
بن فرناس ، خادمت في البيوت تحولن إلى أرتشت ..
يعنى أرتست ، وخدامين صاروا عمالا في الأورنس ،
وحرامية تحولوا إلى متعهدين للجيش الإنجليزي وناس
يتمتعون بالستر تعروا وتدحرجوا إلى القاع ، ثروات
هبطت على البعض بغتة وناس من طبقة المبسوطيين
رأيتهم بعيني رأسي يتسولون طعامهم من المارة
ويلتقطون أعقاب السجائر من تحت أقدامهم ، ومظاهرات
اشتركنا فيها ونحن طلبة في مدرسة المعهد العلمي
الثانوية نهتف .. تقدم يا روميل تقهقر يا جون بول ،
ولكن زميلا لنا في السنة الثالثة الثانوية كان ماركسيا
خطب فينا ونهانا عن اتخاذ هذا الموقف الفاشي الرجعي ،
أما الموقف الصحيح في رأيه فهو الوقوف إلى جانب
الحلفاء .. مع الحرية والديموقراطية وتقرير المصير .

أحلامي في العمر الطويل لم تتعد السبعين عاما .
تصورت لقصر نظري وعمى بصيرتي أن السبعين عاما
هي نهاية الحياة ، لم أتصور أن السنين تنهب العمر كما
ينهب القطار المجري المسافة بين القاهرة وقلوب .. هاهي
السبعون تفتح أحضانها للعبد لله ، وبحلول عام ١٩٩٧
أصبح الشيخ محمود السعدني في السبعين من عمره ،
وبعد أشهر قليلة احتفل بعيد ميلادى السبعين .. آية
أخرى تثبت قول الشاعر .. والعمر كالطيف أو كالضيف
ليس له إقامة ، يا قوة الله ، سبعون عاما طويلة عرفت
خلالها من صنف البشر ما يفوق عدد عساكر جيش
هتلر ، ولم يبق من المعمورة أرض لم أشاهدها إلا
استراليا وأمريكا اللاتينية ، وتذاكر السفر إلى المنطقتين
في جيب العبد لله منذ سنين ، ومن أحلامي أن يمتد بي
العمر حتى أشاهد حيوان الكانجرو في مراعى وغابات
استراليا ، وحتى أرقص السامبا والرومبا وأشرب التيكिला
مع أهل الفنون والثورات من المكسيك إلى هندوراس .

تقدم يا روميل

يالها من أحداث رهيبية وعظيمة وخالدة شهدها العبد لله
واشترك فيها . أول ثورة في مصر رأيتها كانت في العام
١٩٣٥ في هبة الطلبة ضد الاحتلال البريطاني ، وسقط

ویالیت رومیل تقدم وتقهقر جون بول ، لأن مصالحننا
کعرب كانت إلى جانب هتلر ومصلحة الصهاينة كانت مع
الإنجليز ، تحالفوا مع الإنجليز وانخرطوا في جيشهم
ومن خلال الجيش الإنجليزى تأسس الجيش اليهودى
« الهاجاناة » وهو الذى تولى بعد ذلك طرد الفلسطينيين
واحتلال أرضهم .

كانت الشيوعية حديثة في مصر .. أقصد التنظيمات
إياها ، كانت بقيادة اليهود ، وانخدع بعض المثقفين
المصريين وبعض العمال ، فلم يكن الهدف من تأسيس
التنظيمات الشيوعية إلا تبرير أطماع اليهود في فلسطين ،
وهذا الكلام ليس من تأليف العبد لله ، ولكنه كلام أحد
أشرف العناصر الماركسية من بين المصريين ، وهو
المرحوم مصطفى طيبة ، وقد غادر دنيانا في العام
١٩٩٦ ، وقد سجل هذا الكلام في سلسلة كتب ، حبذا
لو قام الدكتور سمير سرحان بطبعتها وعرضها بأسعار
في متناول الجميع .

الشهود العدول

ولم يكن مصطفى طيبة هو الشاهد الوحيد ، ولكنى
سمعت الكلام نفسه من مثقف مصرى عظيم ومفكر
ماركسى له خصوصية ومن أصحاب الوزن الثقيل وهو

الأستاذ محمد سيد أحمد ، وقال نفس الكلام في سهرة
في بيت الصديق عمرو عبد السميع في لندن وضمت معنا
أيضا الدكتور إسماعيل رشدى الوزير المفوض والدكتور
مصطفى الفقى سفيرنا في النمسا والوزير المفوض جهاد
ماضى نائب مساعد وزير الخارجية ، ما علينا .. ولكن
ليته تقدم العم روميل ، ولو فعل لكفانا شر ما حدث لنا
في فلسطين . فالعبد لله من أبناء الجيل الذى سمع أفراده
بأذان ونداءات سائقى سيارات الأجرة في ميدان العتبة ..
نفر واحد غزة ، نفر واحد القدس ، نفر واحد بيروت ،
نفر واحد حلب . وكان من عادة بعض المصريين قضاء
العيد في يافا أو في بيروت . وأذكر أننى قمت بتوديع
سعيد أبو بكر مرة في محطة مصر وهو في طريقه إلى
القدس بالقطار ، ومرة أخرى فعلت نفس الشيء مع
عبد الرحمن الخميسى وهو في طريقه إلى تل أبيب حيث
كان يعمل في محطة الشرق الأدنى التى تبث من حيفا .
ما علينا .. مرة أخرى فياليت عمنا روميل تقدم ، فريما
عشنا زمنا رغدا أيام شبابنا .

نهاية الثوار

وبعد الحرب العالمية الثانية جاءت حرب فلسطين ،
وكانت الحكومة قد ألغت البدل المادى وفرضت التجنيد

على الجميع . ولكنهم جندونا ثم سرحونا « تحت الطلب » ولكن هذا الطلب لم يحن وقته حتى اليوم ، ثم جاءت حرب التحرير التي أعلنها النحاس باشا ضد قوات الاحتلال البريطاني في منطقة القناة . وهذه المعركة بالذات هي التي صدمتني وأنضجتني وفتحت عيني على أوضاع مصر المقلوبة ، وتناقضاتها الغربية ، وهي التي فرضت الحل الجذري بثورة ٢٣ يوليو . فلم يكن من السهل إنقاذ مصر من محنتها مع وجود الملك فاروق الزين أبو وردة على الخدين جاثما على أنفاس المصريين ، وفي الثورة شفنا العجب وعشنا أمجادها ونكساتها ، وشاركنا في انتصاراتها وعشنا هزائمها ، ولكن بالرغم من اختلاف البعض حولها فقد كانت ضرورية لمصر ، وبدونها كانت مصر ستصبح بالتاكيد غير التي نعرفها الآن ، ونفس الكلام ينطبق على العالم العربي . وخلال ثورة يوليو تعرفت على معظم ملوك وأمراء وزعماء وثوار العالم العربي ، حياة كل منهم تصلح مادة لكتاب كبير . وما أكثر الثوار الذين فشلوا وماتوا قتلى برصاص الثوار زملائهم ودفنوا في مقابر مجهولة بعيدا عن أرض الوطن ، الثائر محمد خيضر أشرف وأنقى من أفرزتهم ثورة الجزائر قتل ودفن في مدريد . والثائر الشريف صالح بن يوسف التونسي الذي قتل ودفن في ألمانيا .

والثائر الشاعر صلاح البيطار قتل ودفن في باريس . والثائر العظيم المهدي بن بركة الذي قتل ودفن في قبر مجهول في فرنسا . والثائر التونسي إبراهيم طوبال الذي مات مخمورا ودفن في الجزائر . والثائر أكرم الحوراني الذي مات في المنفى ولا أعرف أين دفن .

أمنية العبد لله

ولو سألتني الآن ما أحب الألقاب إلى قلبك لأجبتك .. لقب طویل العمر . فما أسعد الإنسان الذي تطول أيامه على الأرض بشرط أن تكون الصحة على ما يرام . والله يرحمه ويحسن إليه الراحل عمنا محمد عبد الوهاب وأسأل الله أن يطيل في عمر نجيب محفوظ وأنيس منصور وعلى الراعي وألف رحمة على روح عمنا مصطفى أمين وعمنا فتحي غانم وروح عمنا سعد وهبة ويطيل في عمر عمنا الكبير محمد حسنين هيكل ومحمد عودة وأمين العالم ويوسف جوهر وعبد القادر القط ومحمود عبد المنعم مراد . إلى آخر أعضاء حزب ما بعد السبعين . ولو عشت سأكتب لكم كتابا من عدة أجزاء عن الولد الشقي في السياسة عن الرجال الذين أحبوا الوطن فأدى بهم حبهم إلى الهلاك ، وعن الذين اشتغلوا بأخطر

مهنة في العالم العربي ، وهي مهنة السياسة والتشرد
والعذاب .

وتسألونني عن أمنية العبد لله الحقيقية ، أقول لكم ..
أن أعيش سبعين سنة أخرى .. ومن يدري ؟ ربما عندما
يأتي الوقت قد أطلب السبعين سنة الثالثة . ومن عارف
يحصل إليه عندما تنتهي الفترة الثالثة .

ادعوا للعبد لله بطول العمر مع الصحة التمام !

حكومة.. وعكومة..

القضاء هو أعظم تاج ترقديه الشعوب
والأمم . والعدل هو الجسر الوحيد المؤدى إلى
الاستقرار والرخاء والتنمية . ولا يمكن بناء
نهضة حقيقية على ظلم . وأكبر دليل على ذلك
هو تجربة ألمانيا الهتلرية ، فقد حققت ألمانيا في سنوات
قليلة ما عجزت دول كبيرة عن تحقيقه في أجيال كثيرة .
ولكن كل ما حوله الألمان من معجزات تحول إلى انقراض
في شهور .

ومصر والحمد لله تتمتع بقضاء شامخ وعادل وعظيم .
وآخر القضاة العظام الذين وقفت أمام منصتهم العالية
للأسف الشديد أنستنى الشيخوخة اسمه . وكان رئيسا
لإحدى دوائر الجنايات بالإسكندرية . أصدر حكمه على
العبد لله بالبراءة ، بعد سلسلة من الجلسات العاصفة

استغرقت عامين كاملين . وقبل ذلك بعشر سنوات وقفت أمام دائرة جنایات بالقاهرة برئاسة المستشار زكريا حذيفة ، وجاء حكم المحكمة إدانة صريحة لمؤسسة السينما الحكومية التي أقامت الدعوى ضد العبد لله . وكان حكم البراءة للعبد لله إشادة لموقفى الصحفى ضد السادة المتربحين والمرتشين وبتوع التلات ورقات !

حادث بسيط

وقد أتیح للعبد لله فرصة الاحتكاك بالقضاء الإنجليزى أثناء إقامتى فى لندن فى حقبة السبعينات . فى تلك الأيام انخبط العبد لله فى عقله فامتلكت سيارة صغيرة وتوليت قيادتها بنفسى . وكان مع العبد لله أكثر من رخصة قيادة تسمح للعبد لله بالقيادة فى بلاد الإنجليز واحدة من دولة الإمارات وأخرى من الكويت والثالثة دولية . وذات يوم ممطر كثير الضباب صدمت بنت غندورة على خط المشاة ، وهى جناية فى نظر القانون البريطانى . ولكن لأن الله عالم بأحوال الغلابة لم يسفر الحادث إلا عن خدوش بسيطة وأدى التفاهم مع البنت الخوجاية ببعض الهدايا والإكراميات إلى خروج العبد لله من هذا المأزق بخسائر طفيفة . المهم أننى أثناء نظر قضيتى أمام محكمة بريطانية فى وسط العاصمة البريطانية ، استمتعت بمشاهدة

تفاصيل مجموعة من القضايا أغلبها مخالقات مرورية وبعض جرائم السرقات الصغيرة .

حرامى ولكن

القضية التى هزت أعماقى كانت خاصة بفتى أسود فى القفص يرتدى ملابس رخيصة وقذرة ، ولكنه لم يكن خائفا ولا مذعورا . نظر إليه القاضى من خلال نظارته السمكية وقال وكأنه يتحدث مع نفسه .. تانى .. ورد الولد الأسود قائلا .. معذور يا سيدى . وقال القاضى متهكما .. أى عذر ، لقد قبضوا عليك خارج المحل والمسروقات معك رد الولد الأسود ببساطة .. لقد كنت على موعد فى اليوم التالى للذهاب إلى إحدى الشركات لمقابلة أحد المسئولين هناك تمهيدا لإلحاقى بوظيفة عامل أساسى . قال القاضى .. وما علاقة هذا الأمر بالسرقة ؟ رد الولد الأسود . لقد كان قميصى متسخا وممزقا ، فأردت سرقة قميص نظيف يساعدى على استلام الوظيفة . هز القاضى رأسه وقال .. ولكنك سرقت قميصين وليس قميصا واحدا . رد الولد الأسود على الفور .. لقد سرقت كيسا واحدا ولكن الكيس كان يحتوى على قميصين . ولم يكن هذا قرارى ولكن نظام الشركة الذى لا دخل لى فيه . ولزم القاضى الصمت ثم قال بعد

فترة قصيرة .. حظك لا بأس به وعذرك مقبول ،
وسأحكم عليك بالحبس لمدة شهر مع إيقاف التنفيذ لمدة
عشرين شهرا ، ولكنى سأضعك فى السجن لمدة طويلة
لو رأيت وجهك هنا خلال العشرين شهرا القادمة ،
وسأحكم أيضا بتسليمك الكيس الذى سرقتة لى
تستخدمه فى الحصول على عمل تكسب منه عيشك ،
ولكن لا تنتظر منى رافة ولا رحمة إذا وقع بصرى عليك
هنا خلال العشرين شهرا القادمة . وكانت مفاجأة شديدة
للعبد لله عندما صفق الذين فى القاعة للقاضى الإنجليزى .
فقد كنت أتصور أن الإنجليز يتمتعون ببرود يمنعهم من
التصفيق فى أى موقف !

هذا هو المهم

ووقفت فى القفص عندما حان الوقت لنظر قضيتى
سألنى القاضى .. هل أنت بريطانى ؟ أجبته بالنفى .
فقال : هل لديك رخصة قيادة بريطانية ؟ أجبته بالنفى .
قال : وكيف تقود سيارة بدون رخصة ؟ قلت : عندى
رخصة قيادة بديلة هى رخصة قيادة من دولة الإمارات
والقانون يسمح بذلك . وقدمت الرخصة للحاجب الذى
سلمها للقاضى ، وطلب القاضى أحد المترجمين وسلمه
الرخصة وقال له : هل هى سليمة ؟ نظر المترجم إلى

الرخصة وقال للقاضى : التاريخ قديم . وقال القاضى :
التواريخ غير مهمة ، هل هى رخصة حقيقية ؟ صادرة من
الشرطة فى دولة الإمارات ؟ أجابه المترجم : نعم
يا سيدى . قال القاضى : حسنا . وبعد أن نظر فى
تقرير المستشفى حكم بأربع نقط على رخصة العبد لله
وفى بريطانيا قانون يعطى للقاضى الحق فى وضع بعض
النقط على رخصة المخالف ، وتسحب الرخصة لمدة عام أو
عامين إذا وصل عدد النقط إلى ١٢ نقطة على ما اعتقد !

وهناك فرق

ولكن الذى لفت نظرى فى القضية كلها هو تعليقه على
ملاحظة المترجم بأن الرخصة قديمة قائلا التواريخ غير
مهمة ، المهم هل الرخصة حقيقية ؟ هل هى صادرة من
شرطة دولة الإمارات ؟ وإذا كانت الرخصة حقيقية وغير
مزيفة ، فهى دليل على أن صاحبها استعملها عن جدارة .
وإذا كان القانون البريطانى عامل رخصة الإمارات بقيادة
السيارة فى بريطانيا . فمعناها أن العبد لله من حقه أن
يقود سيارته فى شوارع لندن هذا هو المهم ، أما عدا ذلك
فهو شكليات لا تستحق الوقوف عندها .

أعتقد أننا فى حاجة إلى إلقاء نظرة على مختلف أوجه
حياتنا لإزالة كل الشكليات التى تعوق نمونا وتقف حجر

عشرة في طريقنا وتفتح المجال أمام السادة المستوظفين
لفك عقدهم وفك أزماتهم وحشو بطون البعض منهم بالمال
الحرام .

وهذا هو الفرق بين الحكومة والعكومة . الحكومة هي
التي تزيح كل العقبات من طريق المواطنين . والعكومة هي
التي تسد الطريق وتحكم الحصار وتضيق الخناق على
المواطنين . وكم في شرقنا السعيد من عكومات من الوزن
الثقيل !

لعبة غزالي !

وكما في دنيا الدول ، سلوك البشر
لا يختلف عن سلوك الممالك والجمهوريات .
هل رأى أحدكم خناقة حامية بين سيدة في
الزمالك وبين جيرانها من الجنس اللطيف ؟
هل شاهدتم معركة يشيب لهولها الغراب بين الهوانم في
شوارع جاردن سيتي ؟ ولكن هذه مألوفة وعادية في
شوارع بولاق الدكرور وعزبة القروود وخوخة السعدان ..
الناس الفقراء يتشاجرون لأهون الأسباب ، وغالبا بدون
أسباب . الشجار يتحول عندهم إلى نوع من الترفيه
ومحاولة من جانبهم لكسر رقابة ورخامة الحياة . وزمان
في الجيزة كانت ست الكل سايحة إذا مر عليها أسبوع
بدون خناق ذهبت إلى المستشفى لتتعرف على السبب
الذي جعلها تعزف عن ممارسة فنها الذي هو بالنسبة لها

زينة الحياة الدنيا ، ربما قبل المال والبنين ، وربما أفضل من البغال والحمير لتركبوها وزينة فهي أيضا زينة مثل المال والبنين والخناق . وكانت زنوبة ونحن صبوية صغار عندما تشعر بالضيق تخلع ملابسها وتدب خناقة مع مواطن غلبان في الشارع . وبعد الخناقة كانت تجلس على الرصيف منشرحة ومنشكحة تشفط من كوب الشاي الذي أرسله لها المعلم أمين صاحب القهوة مكافأة لها على ما أبدته من شجاعة في ميدان القتال !

الإفطار وأسبرين

وكما كان يحدث بين صابحة ونايحة في ميدان الجيزة يحدث هذه الأيام بين أثيوبيا وأريتريا . في ميدان القتال العساكر على الجانبين ملابسهم مهلهلة وهي ليست ملابس بالمعنى المعروف للكلمة ولكنها ملاميل وهدوم غير مفسولة من بالة وارد بلجيكا ، والأحذية أجارك الله البوز مقطوع والجوانب مخيطة والرباط أكلته الرطوبة ، ومياه الأمطار والحرب على أشدها ، مع أن العساكر في الغالب لم يتناولوا أي إفطار على الإطلاق ، والمدفع الماكينة مختبئ داخل عشة لا تصلح حتى لسكنى الفراخ ، هي غالبا ما تستعمل مأوى للثعابين والحيات ، حكمة الله أن الناس مش لاقية تهرش في أريتريا

وأثيوبيا ، ولكن الحكومتين لديهما طائرات هليكوبتر وطائرات مجنحة حديثة الطراز . نفس الشيء يحدث في سيرلانكا بين الحكومة ونمور التاميل ، والقتال داير في الأحراش وبأحدث الأسلحة ، والفاس تفرط إسبرين وتتعشى بمحلول الجفاف . ونفس المحنة شغالة على قدم وساق في أنجولا وفي زائير وفي سيراليون بين الجنرال كباح والجنرال سنكوح . ولا أعرف كيف حصل الأخ سنكوح على رتبة الجنرال . ويبدو أنه حصل عليها بطريقة زميلي في سجن القناطر الكرداسي الذي لقبوه بسيادة اللواء . حتى بالنسبة لمأمور السجن نظمي الجاولي نفسه ، بعد أن أقسم الكرداسي أنه لن يرد على أحد إلا إذا ناداه باسمه مسبقا بسيادة اللواء !

العراك للترفيه

يبدو أن القتال هو وسيلة الغلبة لكسر روتين الحياة اللزج البليد الثقيل ، ويبدو أنها نظرية حقيقية ، لاننا لم نشاهد في حياتنا معارك من هذا النوع بين أمريكا وكندا أو بين بريطانيا ودول اسكندنافيا أو بين فرنسا وسويسرا أو بين ألمانيا وهولندا . قد يقول أخونا أبو العريف : لقد وقعت معارك بين هؤلاء في الحرب العالمية الثانية وقبل ذلك في الحرب العالمية الأولى .

وأقول للسيد أبو العريف : نعم هذا صحيح ، الحرب العالمية الثانية كانت نتيجة جنون انتاب الكرة الأرضية ، ولكن العبد لله يتكلم عن ظروف أخرى ليست فيها حرب أو ضرب وليس هناك سبب لذلك كهذه الحرب في القرن الأفريقي . فلماذا ؟ وما هي الأسباب ؟ لقد كانت أثيوبيا وأريتريا منذ عدة سنوات بلدا واحدا وشعبا واحدا ، والرئيس أفورقي الأريتري والرئيس زيناوي الأثيوبي من قبيلة نيجراي وهما أولاد خالة ، يعنى زيتنا في دقيقتنا والبيت جنب الغيط . والعنصران المتحاربان بسيريلانكا يؤمنون بدين واحد ويعبدان إلهها واحدا . وهي مواصفات تنطبق أيضا على القبائل المتحاربة في أنجولا وفي سيراليون وفي زائير .

هذا هو السؤال

ولذلك .. فالسؤال .. ما سبب الحرب على هذه الجبهات ؟ ويبدو أنها لعبة لقطع أوقات الفراغ . أذكر ونحن صبية وقفنا في الشارع في شبه دائرة واقترح أحدنا أن نذهب إلى السينما ولكن الفلوس التي كانت في جيوبنا لم تكن كافية لدخول السينما ، فاقترح أحدنا الجلوس على القهوة وشرب الشاي ولعب الطاولة ، ولكن الفلوس لم تكن كافية . فاقترح آخر الذهاب إلى محل عم

صباحي الطواني لناكل الكنافة والبغاشة ، ولكن الفلوس لم تكن تكفى لأى شيء . وفجأة هتف أحدنا وهو المرحوم جمال غزالي واقترح اقتراحا وجيها للغاية سرعان ما نفذناه على الفور . هل تعرفون ماذا اقترح غزالي ؟ قال بلهجة عالم خبير بوسائل حل المشاكل : يلا نتخانق مع العساكر الهنادوة دول ، وكان بعض العساكر الهنادوة يمرون في ميدان الجيزة في نفس الوقت ، ونشبت المعركة على الفور ولم يتدخل أحد لوقف القتال ، واستمرت المعركة وقتا طويلا . وهكذا أمضينا سهرة طيبة بدون تكاليف كأرخص ليالى بتاعة المرحوم يوسف إدريس .

لعبة غزالي !

ولكن .. شوف خيبة الأمل لما تركب جمل ، خناقة حامية مثل حرب البسوس بين شوية طلبة فقراء وليس معهم فلوس وبين شوية عساكر هنادوة أغلب من الغلب . ترى لو كانوا عساكر إنجليز أو أمريكيان ، هل كانوا استجابوا لقتالنا ؟ العبد لله يشك في ذلك ، فقد كان مع هذا الصنف من العساكر فلوس وحلويات وزجاجات خمور وكانوا في طريقهم إلى ملاهى الرقص في شارع الهرم . ولكن مثل هذه الخناقات لا تدور إلا بين شلة

غزالي والعساكر الهنود أو بين جنرال كباح و جنرال سنكوح أو بين اثيوبيا وأريتريا ، وهي يمكن أن تنشب في أى مكان حيث لا فلوس ولا امكانيات ولا شىء يسر القلب على الإطلاق ، بحيث تصبح الحرب أو الخناقة عملية ترفيحية ومحاولة لكسر رتابة الحياة وروتينها اللزج الثقيل . إنها لعبة الغزالي انتشرت الآن في كل مكان . وعندما تصبح الحرب هي المتعة الوحيدة في حياة بعض الناس ، فهو الدليل الوحيد على وجود حاجة غلط في حياة هؤلاء الناس ، وهي حالة سائدة الآن في مواقع عديدة على خريطة الكرة الأرضية . فحيث الفقر الشديد والغم الأزلى تنشب هذه الحروب التي لا تحمل أى معنى وليس لها أى هدف على الإطلاق .

غارات الفرشنة

أذكر أننى عندما كنت أقضى فترة العقوبة في سجن القناطر كان الحاج صبحى الشرقاوى هو زعيم العنبر (١) وكان بين الحين والآخر يقوم بغارات على العنبر (ب) وأحيانا كان يكتفى بشن غارات على دور (٣) أو دور (٤) ، وعبثا حاولت أن أفهم سر هذه الغارات دون جدوى ، وذات يوم وأثناء شروع الحاج صبحى فى الهجوم على عنبر (ب) سألت الحاج صبحى عن سر هذا

الهجوم وعن الذنب الذى ارتكبه نزلنا عنبر (ب) ويستحقون عليه العقاب .

فأجابنى ببساطة : هيعملوا إيه ما عملوش حاجة هما لاقيين يهرشوا . ولما قلت للحاج صبحى .. طيب ومتضربوهم ليه مش كفاية اللي همه فيه ؟ رمقنى الحاج صبحى بنظرة نارية وقال : وإنت رأيك إيه .. نقعد جنب الحيط زى الولايا . نقعد نعد الثوانى والدقائق طول النهار ؟ أهى حاجة للفرشنة وتنسينا اللي احنا فيه .

وعندما تتحول الحرب عند البعض إلى وسيلة للفرشنة والمزاج ، يصبح بطن الأرض خيرا لهم من ظهرها !

التطبيع ، هو أمر يدخل فى باب الهزل . لأن الواقع يقول كيف نمنع الناس من التطبيع ؟ إذا كانوا هم أنفسهم قد قرروا ذلك ، وكيف نجبرهم على التطبيع ؟ إذا كانوا هم أنفسهم قرروا عدم ارتكاب هذا الذنب العظيم . ومؤتمر بهذا الاسم ومن أجل هذه المهمة هو مجرد مناسبة للكلام والهزيمة واستعراض عضلات الحنجرة . وخذ عندك كلام من نوع الحنجورى المتشابك مع الشنجورى المتشكك مع التيار المتواطىء المتنازل الزاحف على بطنه .. إلى آخر هذه العبارات الهجايص التى شربنا منها حتى ارتويينا وأكلنا منها حتى شبعنا ، وكانت النتيجة أننا صرنا كالمثبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى !

إنجاز سكيته

وخذ عندك إسرائيل مثلا ، هبرت أرض فلسطين والتهمت هضبة الجولان وأكلت حبة كبيرة من لبنان دون أن توجه دعوة لآى أحد لحضور مؤتمر الاحتلال أو مؤتمر عدم الاحتلال ، إسرائيل تنجز فى هدوء وفى صمت وسكيتى .. على رأى فؤاد المهندس . وانظر إلى إسرائيل الآن ستجد زعماءهم هم جنرالاتهم ، رئيس الوزراء هو باراك رئيس أركان حرب جيش الدفاع . وزعيم المعارضة هو شارون قائد الجيش السمين فى حجم الفتوة جعلص

وتكلم السيف .. !

وعلى طريقة الأهلئ والزمالك انعقد فى القاهرة مؤخرا مؤتمران ، مؤتمر أطلقوا عليه اسم مؤتمر التطبيع حضرته بعض الوفود من بينها وفد إسرائيلى رفيع المستوى . ومؤتمر آخر أطلق عليه مؤتمر عدم التطبيع . ولا أعرف معنى عدم التطبيع إلا إذا كان شئء كده مثل عدم الموافقة . ولكن لأن عدم التطبيع حلو ، فقد انعقد من أجله مؤتمران ، مؤتمر دعت إليه إحدى الدور الصحفية والمؤتمر الثانئ دعا إليه ضياء الدين داود القطب الناصرى الكبير ورئيس الحزب الناصرى العربئ الديموقراطئ ورئيس مجلس إدارة جريدة العربئ . وهذا المؤتمر هو الذى دعيت لحضوره ولكنى رفضت حضوره ، ولم أعذر عن ذلك ، لإيمائئ بأن مؤتمرا لعدم التطبيع أو لمناهضة التطبيع ، أو لمقاومة

يرحمه الله . أما نحن فزعمناؤنا هم خطباؤنا . كان سعد زغلول خطيبا لا يشق له غبار ، وكان مصطفى كامل يغنى وهو يخطب وعرابي لم يكن قائد الثورة العرابية ولكن زعيمها الحقيقي . كان عبد الله النديم الكاتب الشاعر الساخر الناثر الساخر حتى الآن . استمع إلى الدكتور فتحى سرور سيذكرك بالزعيم سعد زغلول ، وخذ بالك من عمك كمال الشاذلى سيذكرك بعمك عبد الله النديم ، كلام حلو وصوت قوى وتشويح بالذراع وضرب على المنضدة بقبضة اليد .

بدون وينجز

واقرا تاريخ عمك محمد على ، ستكتشف أنه أنجز بدون وينجز . نظم الري وأسس الجيش وأنشأ الطبقة العاملة المصرية . نعم محمد على هو الذى أنشأ الطبقة العاملة كيف ؟ هل كان يحب العمال ويعطف عليهم ؟ الجواب لا بالطبع . ولكنه كان يحب مصر ويعشقها . كما كان رجل دولة من طراز عظيم . عندما شرع محمد على فى إنشاء جيش ودعا شباب مصر إلى الانخراط فى صفوفه ، اللائقون طبيا ينضمون لصفوف الجيش والأسطول وغير اللائقين طبيا يجرى تجنيدهم كعمال

يصنعون بارودا وبنادق للجيش ويصنعون ملابس وأحذية للجنود . فإذا انتهت مدة التجنيد الإجبارى أبقاهم محمد على فى الخدمة كأسطوات ينظمون العمل ويعلمون المستجدين من المجندين . وهكذا أشرق فجر الحركة العمالية فى مصر والفضل لمحمد على الكبير . وتستطيع أن تقرأ القصة كاملة فى كتاب الخبير العمالى الأستاذ أمين عز الدين .

جهاد على طول

لم يحضر محمد على مؤتمرا ولم يخطب باللاوندى كمجاهدى هذه الأيام ولم يكن قد ظهر فى عصره هذا الاختراع العجيب .. اختراع الحنجورى المتعاقب مع الفجر البازغ عند حلول السرنديب . ولعل هذا هو السبب الذى جعلنى أرفض حضور مؤتمر عدم التطبيع الذى دعا إليه المجاهد ضياء الدين داود ، وهو مجاهد باعتباره يجاهد صباح مساء وعمال على بطال ، ولثقتى بأن مؤتمر سيادته لن يمنع أحدا من التطبيع ولن يجرى أحدا بالتطبيع ، ولكنه مؤتمر للتصوير والتجوير .. نسبة للجاعورة . وفلسطين نفسها ضاعت بسبب مؤتمرات من هذا النوع . وفى العام ١٩٤٨ حضرت مؤتمرا من هذا

النوع في فندق شبرد خطب فيه أمين الجامعة العربية وقتئذ وقال وصوته يتدفق حماسا سكت القلم فتكلم أيها السيف .. وسكت القلم بالفعل وتكلم السيف ، سيف الإسلام عبد الله ، وكان أميراً يمنية يرحمه الله .

موحدة وأبدية

انتهى الخواجا باراك من تأليف وزارته ، وهي وزارة حلوة ودمها خفيف وبنت ناس ، كما أنها جمعت الشامي على المغربي والمتطرف على المتساهل والفتن ياهو عل النتن يا خلق .. وباراك نفسه لم يعد بشيء ولم يفصح عن نواياه الشيء الوحيد الذي تعهد به هو تنفيذ اتفاق واى ريفر وهو الاتفاق الذى رفض تنفيذه ، على أساس أن واى ريفر رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه يا أولى الألباب . ولكنه فى الوقت نفسه أكد أن القدس عاصمة أبدية وموحدة لإسرائيل . أما المستوطنات فلم يتعرض لها من قريب أو من بعيد . والعبد لله يعتقد أن القدس لا يمكن تحريرها إلا بقوة السلاح وسيحدث هذا بإذن واحد أحد ذات يوم فى القرن الواحد والعشرين بإذن الله . عندما يعود العرب عربا وتصبح السكة العربية سالكة والحدود العربية مفتوحة للعرب وليس كما هو الحال الآن مسدودة أمام العرب مفتوحة للغير !

ع الهيجا

وأغرب شىء بالنسبة لعرب اليوم أن جميع الإذاعات العربية تصرخ صباح مساء بأناشيد الوحدة اللي ما يغلبها غلاب وحنأ للسيف حنا للضيف وع الهيجا هيا يا رجال .. والعبد لله لا يعرف أى هيجا يقصدون . لأن الهيجا ممكن تكون الحرب وممكن أيضا تكون أى حاجة ثانية . وأوروبا التى تتعامل بالف صنف من العملة وتكلم بمائة لسان ونصفها يؤمن بالله والنصف الآخر يؤمن بالشطن وبالفرتك وبالمارك ويجمعهم فى النهاية إله واحد هو الدولار . أوروبا هذه اتحدت أولا عن طريق العملة والبضائع والتجارة والمصالح ، ولم نسمع فى أوروبا كلها أغنية واحدة عن الوحدة أو حتى عن الاتحاد . ولكن هنا فى بلادنا استمعنا إلى مائة ألف أغنية ، وأنا واقف فوق الأهرام وقدامى بساتين الشام ، والوحدة هيا طريقى والعربى هو رفيقى أنا قادم من بليده وهدفى هو بريدة ، وبليدة فى الجزائر وبريدة فى السعودية ، وعلى طول الطريق ما أكثر المهالك والمزالق والفخاخ !

الفضل لبسيونى

ولكن القدس ستعود يوما ما بإذن الله ليس بفضل سماحة باراك ولا جهود أنصار السلام الآن ولا ببركة

عمنا السفير صلاح بسيونى ، ولكنها ستعود بفضل
ذو الفقار سيف سيدنا على بن أبى طالب ، وبفضل البتار
سيف عمنا سعد بن أبى وقاص . ولكن البداية هي أن
نشعر بعروبتنا ونشعر بأن حياتنا فى وحدتنا وأنه من
الضرورى أن نتعلق ببعض لا أن نتعلق فرادى ، وعندما
تتحد هويتنا وتتحد إرادتنا ، عندما يقوم العربى من باب
المنذب فى اليمن إلى باب الواد فى المغرب دون أن
يستوقفه أحد أو يفتشه أحد أو تمتد يد أحد لتلذقه على
قفاه ، عندئذ ستعود القدس وتعود عكا وستعود أم
الرشراش التى حكم الزمن عليها فأصبحت إيلات !

ضغط الدم

صحيح قليل البخت يلقى العظم فى
الكرشة . وهذا المثل ينطبق على العبد لله لسوء
الحظ . فى البداية اعترف لكم بأننى مصاب
بضغط الدم العالى . وذات يوم منذ سنوات
دخلت عيادة الدكتور فايز بطرس بهارلى ستريت فى
لندن ، أشكو له من عدم قدرتى على النوم وأنى أنام نوما
متقطعا وعلى فترات كل فترة لا تزيد على ساعتين . ونظر
الدكتور فايز بطرس طويلا إلى وجهى وقال للعبد لله
استلق على هذا السرير كى أقيس لك ضغطك . وقلت
للطبيب : اطمئن فأنا لا أعانى من أى ضغط دم لا عالى
ولا واطى، وضغط دمي منذ العشرينات من العمر وحتى
الستينات هو ١٢٠ على ٨٠ يعنى ضغط شاب فى مقتبل
العمر . ورد الدكتور على العبد لله وهو منهمك فى إعداد

جهاز الضغط .. ولكنك الآن فى السبعين وهى مرحلة تختلف عما مضى من العمر .. واستسلمت للدكتور فايز وأعطيته ذراعى وقام بقياس الضغط ، ونظرت إليه ولكنه تجاهل نظراتى وانهمك فى قياس الضغط مرة ثانية ومرة ثالثة ومرة رابعة ، ثم أعاد الجهاز إلى جرابه وسألنى هل تعاني من صداع شديد هذه الأيام ؟ نفيت له أننى أعانى من أى صداع ثم سألنى هل هناك (وش) فى أذنيك . قلت : لا يوجد أى (وش) على الإطلاق . قال : ضغطك ٢٢٠ على ١٦٠ وهو أمر مخيف وينذر بالخطر . قلت : وما العمل ؟ قال : لن نفعل أى شىء الآن ، سأتركك أسبوعا لتعود إلى فى نفس الموعد الأسبوع القادم ، فلعل هذا الارتفاع عصبى ومفاجىء وسيزول بعد وقت . وقلت له : ولكنك قلت إننى فى مرحلة الخطر . قال : هذا صحيح ولذلك أنصحك بالراحة هذا الأسبوع وبدعم أكل الطرشى والابتعاد عن الملح وعدم الدخول فى مشاحنات من أى نوع ، وأنصحك بضبط النفس لا تغضب ولا تثر لاي سبب من الأسباب .

هايص ولا ييص

ومر الأسبوع سريعا وعدت من جديد إلى الدكتور فايز بطرس وقرأت على وجهه الرقم الذى سجله الجهاز أقصد

جهاز الضغط . قلت للدكتور : خير ؟ قال : سأعطيك دواء الضغط الآن عليك أن تواظب عليه وأى إهمال فى تناوله سيؤدى إلى عواقب وخيمة ، وكتب لى ثلاثة أنواع من الدواء واحد فى الصباح ٥٠ ملجم وواحد فى المساء ١٠ ملجم وواحد فى الظهيرة يتكفل بطرد الماء من الجسم . ومضى أسبوع آخر وذهبت للدكتور وبشرنى بأن النتيجة طيبة وأن الدواء أعاد الضغط إلى منسوبه الطبيعى وأوصانى بشراء جهاز لقياس الضغط لكى أقوم بالقياس فى المنزل . وعشت مريضا بالضغط ، أتلاءم معه أحياتا وأتلاءم عليه فى بعض الأحيان . ولكن الضغط كان بين الحين والآخر يتغلب على الدواء ، ويفلت من جميع التخصصينات التى أقمتها حوله ويرتفع فجأة ليصل إلى مرحلة الخطر . ودربت نفسى على ريجيم لترويض الضغط . ولكنى لاحظت أن الضغط يرتفع فجأة وبشكل جنونى بالرغم من الدواء والريجيم ومرة بعد مرة لاحظت أن الضغط يصيبه الجنون كلما قرأت أخبار النصابين فى الجرائد . نصابين من الوزن الثقيل . نصاب يلهف مئات الملايين من البنوك ثم يفر هاربا إلى الخارج . ونصاب يلهف من المنبع كما تفعل الضرائب ، أى يلهف من الناس مباشرة مثل زعماء شركات توظيف الأموال ، ثم فص ملح وداب . وبعضهم وبعضهن يلهف المعلوم ويضعه فى

صرة ويافكيك على الخارج . بعضهم يعيش في لندن في ثياب بزنس مان ، وبعضهم يعيش في اليونان ، وبعضهم يعيش في باريس ، آخر حفلات وآخر سهرات بينما الشعب صاحب المال يعاني ويتعذب وكان ما يحدث أمامنا فصل من مسرحية .. أخويا هايص وأنا لا يص للمؤلف عبد الرحمن شوقي يرحمه الله !

طعمية وكافيار

ولا أخفى عليكم أن العبد لله متغاض ومفروس من هذا الوضع الظالم الذي يسمح لهابر الأموال بالإقامة في شقة فاخرة في حي « بيكر ستريت » في لندن وعلى الباب تنتظره السيارة الفاخرة مع السائق والعشاء كافيار مع الأصدقاء في أفخم مطاعم (الماي فير) والصورة الثانية على رصيف بالجيزة المعلم قطب جالس على شاطئ النهر يحتضن رغيفا به عدة أقراص طعمية وفكره شارد في تحويشة العمر التي نشلها منه رجل الأعمال الهارب في لندن . مأساة نتيجتها ضغط الدم العالى الذى يهدد بفرقة في المنخ أو بفرقة في القلب !

فرحة ماتمت

لعل ذلك هو الذى جعلنى أصرخ من شدة الفرح عندما قرأت خبرا فى الصحف عن تبرع أحد رجال الأعمال

المصريين بمبلغ ١٠٠ مليون دولار لجامعة المنصورة لبناء ثلاثة مستشفيات لعلاج المواطنين وتدريب وتخريج الأطباء . يا إلهى .. الدنيا لا تزال بخير والناس لا تزال بخير ومصر لا تزال بخير . شعرت بعد قراءة الخبر فى الجريدة ، ولم تكن جريدة واحدة التى نشرت الخبر ، ولكن ثلاث جرائد كبرى .. الأهرام والأخبار والوفد . وقلت لنفسى : هذا الخبر صحيح بدون شك « ولا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وشعرت أن الضغط عاد إلى حاله الطبيعى ١٢٠ على ٨٠ ، وفكرت أن أنهض وأرقص وأفتح النافذة وأغنى ، ولكنى تراجعت عن تنفيذ هذه الفكرة خوفا من الجيران . وقلت لابد من تحية هذا الرجل العظيم وإلقاء الضوء على موقفه الوطنى العظيم ، وأمسكت بالقلم وكتبت مقالا عن الرجل الكريم الدكتور سمير شحاته هندی أو هنرى .. الله وحده يعلم الحقيقة وعبرت فى السطور التى كتبتها عن مدى الاحترام الذى أشعر به نحو الرجل ، ومدى حاجتنا نحن المصريين لنماذج من هذا النوع العظيم من المصريين المغتربين . ولكن فرحة ما تمت خدما الغراب وطار . بعد ظهور أخبار اليوم بساعات انهالت التليفونات على العبد لله كلها تلومنى وتشدد أذننى على رأى عم كامل الشناوى لأننى تسرعت وأن المتبرع إياه لم يتبرع بشئ حتى الآن ولن

يتبرع بشيء في المستقبل . والبعض الآخر قال إن الثرى
الأمثل الذى كتبت عنه ليس ثريا ولا أمثل ولم يسافر إلى
أمريكا إلا منذ عام ونصف قلت فى نفسى لعل أصحاب
هذه التليفونات فى خصام مع الرجل أو فى عدااء معه ،
حتى قرأت فى الزميلة روز اليوسف موضوعا بقلم
الأستاذة كريمة سويدان يحمل نفس المعانى التى سمعتها
فى المكالمات التليفونية . وقلت فى نفسى كما قال
أبو العلاء المعرى فى نفسه .. ياليت شعرى ما الصحيح؟
وقلت لو صحت هذه المعلومات وأن الشخص نفسه متبرع
ما تبرعش بحاجة على وزن شاهد ماشفش حاجة . ولكن
من ألوم ؟ واحد غاوى منجهة وفشخرة فأعلن عن تبرعه
بـ ١٠٠ مليون دولار ، فأعلنت الجامعة على الفور قبولها
التبرع ، ونشرت الصحف الخبر على الفور ، وكتبت أنا
مقال التمجيد على الفور . فمن الذى ألوم ؟ وما العمل ؟
ويبدو أن العمل الوحيد هو عودة العبد لله إلى عيادة
الدكتور فايز بطرس فى لندن !

هذا هو السؤال

والسؤال الذى ينتظر جوابا هو لماذا انتشرت عمليات
النصب فى مصر هذه الأيام ؟ وهل مصر وحدها هى التى
تشهد حوادث نصب فريدة وغريبة من نوعها ؟ إن مصر

ليست وحدها التى تشهد هذا الطوفان من حركات
النصب ، فالنصب على ودنه فى كل مكان . ولكن النصب
فى بعض الأماكن يعامل بشدة ويجرى قمعه بيد من
حديد ، ولذلك يفكر النصاب ألف مرة قبل أن يقوم بنصبه
جديدة . لكن تمسكنا بسيادة القانون يشجع النصاب
عندنا على القيام بالنصب بقلب من حديد ، وعلى أساس
أن النصبه إذا طابت فيأدى النعيم ، وإذا خابت فعلقة
تفوت ولا حد يموت . هل تذكرون حادثة المواطن الذى
كتب شيكا للحكومة بمبلغ مليار جنيه، وهو مبلغ يغطى
ديون الريان ، ثم اكتشفت الحكومة أن الرجل على باب الله
وأنة لا يملك أى رصيد فى البنك . ولكن ما الذى حدث
للمواطن بعد ذلك ؟ قضى فى الحبس عدة أشهر قليلة ثم
خرج مشهورا مسرورا ولا نجم السينما محمود
عبد العزيز !

الحديد والملوخية

وطبعا كلكم تتذكرون قصة رجل الأعمال الدولى
رئيس مجلس إدارة حديد أسوان وشريكه العضو
المنتدب . ناس على باب الله أحوالهم المالية الخالق الناطق
طبق الأصل من أحوال العبد لله . لا هم من رجال الأعمال
ولا هم من رجال البنوك ، ومع ذلك لم يترددوا فى إنشاء

المشروع وكانوا يخططون لاقتراض ٨٠٠ مليون جنيه من بنك مصرى . تصوروا !؟ مع أن الديون لو كانت من فئة المائة جنيه فقط لاغير فهى هم بالليل وذل بالنهار . ولكن هذا النوع من الناس لا خوف ولا خشا ، ولكنهم من فصيلة المنشار .. طالع واكل نازل واكل ، وأضافوا إلى المعادلة إضافة جديدة .. واقف .. واكل .. فالمهم هو الأكل واللهاط والهبر والقضم . أما الحساب فهو هين ومحتمل وهو يسير . عدة أشهر فى السجن ، ثم يخرج إلى الحياة ليختار مكانا آخر لينشئ فيه مصنعا آخر .. ربما مصنع ألومنيوم أو مصنع ورق أو مصنع ملوخية . ومرة تصيب ومرة تخيب . والقانون مثل مجلس الأمن لا يحفظ حقوق السذج ولا يحمى المغفلين !

الطفل الثائر

صحيح يثاب المرء رغم أنفه . فالعبد لله ومنذ فترة طويلة وأنا أشكو الله ضعفى وجهلى وهوانى على الناس ، لأننى لا أفهم شيئا من النظام العالمى الجديد . تصورت أن مأساة العراق هى النموذج الأمثل على النظام العالمى الجديد ، ثم قيل للعبد لله أنت مخطىء فليس هذا هو النظام العالمى الجديد ، هذا وجه من وجوهه وهناك أوجه أخرى كثيرة ومتعددة . وعندما شاهدت مأساة يوغوسلافيا سابقا وصربيا حاليا هتفت بينى وبين نفسى .. هذا هو إذن النظام العالمى الجديد ، ولكن قيل لى أنت واهم فليس هذا هو النظام العالمى الجديد سألتهم .. ما هو النظام العالمى الجديد إذن ؟ وما هو الإنجاز الذى يدل عليه ويشير إليه ؟ قالوا ولماذا العجلة إن العجلة من الشيطان ، إصبر وصابر

ورابط وانتظر وسيأتيك الدليل وأنت في مكانك ، وعلى رأى المثل .. يا خبر بفلوس بكره يبقى ببلاش !

الطفل الكوبي

والحمد لله والفضل لله أن انتظرنا لم يطل ، فقد حدث فجأة وعلى غير انتظار ، هبط علينا الدليل من حيث لا نحتسب ، الطفل الكوبي الذى أخذته أمه مع زوجها الثانى وانطلقت معه إلى رحلة هروب بالبحر من كوبا إلى الولايات المتحدة . ولكن لأن ليس ما يرجوه المرء يدركه ، فلم يكتب للقارب الوصول إلى الشاطئ الأمريكى ، انقلب القارب وغرقت الأم وزوجها معها وكتب للطفل الكوبي النجاة ، تعلق بالقارب وعثرت عليه داورية أمريكية من خفر السواحل وأخذته معها إلى الشاطئ الأمريكى . قصة عادية ويحدث مثلها كثيرا . ومأساة طفل كوبي فقد أمه غرقا ووالده حى يرزق على الشاطئ الآخر فى كوبا، المفروض أن يعود الطفل إلى أبيه وتنتهى المشكلة . ولكن هذا ليس رأى النظام العالمى الجديد ، لأن النظام العالمى الجديد حمش ولا يسمح لطفل صغير بالعيش تحت سقف نظام شيوعى لا يعرف الرحمة ولا يطبق الديمقراطية ولا يعترف بمزايا النظام الرأسمالى .. وبالفعل تلكأت السلطات الأمريكية فى اتخاذ القرار المناسب بشأن مصير

الطفل الكوبى ، وتحركت منظمات حقوق الإنسان واحتجت ، لأن النظام العالمى الجديد ليس حمشا فقط ، ولكنه حمش وخجول فقد أحال قضية الولد الكوبى إلى المحكمة ، وسرعان ما أصدرت حكمها برد الطفل إلى والده الذى يعيش فى كوبا .. وصفق العالم للمحكمة الأمريكية التى حكمت بالعدل وتوقع العالم أن تنتهى مأساة الطفل خلال أيام قليلة ، فالمحكمة حكمت والأب لحق بحضانه ابنه . ولكن فى النظام العالمى الجديد المحاكم ليست هى صاحبة القرار ، هناك الكونجرس ولجانه واجهزة الإعلام وسطوتها ومنظمات المافيا ورجال العصابات !

وجاء الكونجرس

وبالفعل تحرك رجال الكونجرس واستصدروا قرارا من الكونجرس بضرورة مثول الطفل أمام إحدى لجانه لاستجوابه بشأن مصيره . طفل فى العاشرة من عمره يستفتيه الكونجرس بشأن مصيره ! وماذا يدري الطفل من أمر نفسه ؟ ولكن مثل هذا الكلام هو كلام رجعى لا يليق استخدامه فى النظام العالمى الجديد ، لأن النظام العالمى الجديد هو نظام تقدمى يعطى الحرية لكل الناس حتى الطفل الوليد . وإذا كان الناس يتوع النظام العالمى

المسألة فيها نظر . وفي النظام العالمي الجديد واحد زائد واحد لا تساوي اثنين . ولكنها تساوي خمسة وأحيانا تساوي سبعة . ونقطة البدء في النظام العالمي الجديد أنه لا يسمح للطفل الكوبي بالعيش تحت سقف نظام شيوعي يؤمن بالحزب الواحد ولا يعترف بالخصخصة وآليات السوق . في هذه الحالة سيكون على النظام العالمي الجديد أن يوفق بين مبادئه ورغبة الطفل .. وإذا كان النظام العالمي الجديد لا يفرط في المبادئ فهو أيضا لا يمكن له أن يتجاهل رغبة الطفل في البقاء إلى جوار أبيه !

هل فهمتم

ولكن كيف سيخرج النظام العالمي الجديد من هذه الورطة ؟ هي في الحقيقة لا ورطة ولا أي حاجة ، الأمر بسيط للغاية وسيكون من حق الرئيس الأمريكي أن يتدخل لحل المشكلة فالطفل الكوبي يرغب في العيش إلى جوار أبيه ، والنظام العالمي الجديد لا يسمح بتربية الطفل تحت سقف نظام شيوعي لا يؤمن بالله ولا يعترف بالديموقراطية ولا يعمل بالأسمالية ولا يطبق آليات السوق . إذن الحل المثالي في ظل النظام العالمي الجديد أن يأمر الرئيس الأمريكي بمنح تأشيرة دخول لأمريكا لوالد الطفل . وهذه التأشيرة كفيلة بحل المعادلة المستحيلة

القديم يتصورون أن الأطفال لا رأى لهم ولا شأن لهم بما يجري في العالم ، فهو رأى غير صحى وغير صحيح . فأطفال النظام العالمي الجديد مثل الديك الفصيح في البيضة يصيح . أطفال اليوم ليسوا مثل أطفال الأمس ، أطفال النظام العالمي الجديد يفتحون عيونهم على عالم جديد تحول إلى قرية ، وهم منذ أول يوم لخروجهم من بطون أمهاتهم يستخدمون الانترنت ويشاهدون القنوات الفضائية وبعضهم يشترك في مناقشات قناة الجزيرة وهم في اللفة . والنظرة الدونية إلى أطفال النظام العالمي الجديد لم تعد تليق ، ولكنها محاولة من عجائز النظام العالمي القديم لإبعاد أطفال النظام العالمي الجديد من احتلال الأماكن اللائقة بهم في صدارة النظام العالمي الجديد !

واحد زائد واحد

وهؤلاء الذين يستنكرون أخذ رأى طفل بشأن مصيره هم في واقع الأمر لا يؤمنون بالديموقراطية وهم بالتأكيد من أنصار النظام الشمولى ، وهو النظام الذى اقتلعه النظام العالمي الجديد من أساسه . طيب ... إفرض إنكم استجوبتم الطفل الكوبي وأنه اختار الحياة مع والده ، فهل سيوافق النظام العالمي الجديد على إعادته إلى أبيه ؟

ويعيش الطفل فى رعاية أبيه وعلى الأرض الأمريكية ، أرض الديموقراطية والرأسمالية والنظام العالمى الجديد . ولكن لو فرضنا أن الأب رفض الذهاب إلى الولايات المتحدة ، لو حدث هذا سيكون الأب مجنوناً أو فى طريقه إلى الجنون ، ويكون من حق النظام العالمى الجديد الاحتفاظ بالطفل الكوبى على الأرض الأمريكية . لأن النظام العالمى الجديد أقدر على معرفة مصلحة كل مواطن ، وأكفاً على رسم الطريق الذى يضمن لكل مواطن المستقبل السعيد ! هل عرفتم الآن ما هو النظام العالمى الجديد ؟

ولا أنا ؟!

سترك يارب

زمان كنت حريصاً على السهر حتى الصباح كل ليلة قدر وكان سبب حرصى هو أن أكون متيقظاً حتى تظهر طاقة القدر فأتقدم لها بكشف طلباتى من متاع الدنيا . كشف يبدأ بالفلوس وينتهى بكل ما يتمنى المرء امتلاكه فى هذه الحياة الدنيا . ثم مضى قطار العمر يا ولدى ووجدت نفسى فى ليلة القدر الأخيرة أتمم بكلمة واحدة فقط هى كل طلباتى من ليلة القدر . كلمة واحدة هى الستر ! سمعنى أحد الأصدقاء فسألنى مندهشاً .. هل

هذه هى كل طلباتك من السماء ؟ فأجبتة .. وهل تظن أن هذا قليل ؟ العبد لله وقد بلغ كل هذا العمر لا يطلب من الله إلا الستر ، وهو أمر ليس هيناً ، ولكنه أمر لو تعلمون عظيم . هل تذكرون ما حدث لشاه إيران ؟ عندما تنكر له أقرب الناس إليه ، عندما صارت أمنياته أن يجد مكاناً لنفسه يأوى إليه . لا بد أن الشاه فى آخر أيام حياته سأل الله أن يمدّه بالقوة والسلطة والنفوذ والمال ، ولكنه فات عليه أن يطلب الستر .. والجنرال موبوتو سيسى سيكو حدث له نفس الشيء ، سأل السماء أن تضاعف رصيده فى البنوك وأن تمده بأعلى الكنوز التى تضمها المناجم فى باطن الأرض .. وكانت النتيجة أنه مات وهو من أغنى أغنياء الأرض ولكنه فقد الستر ، ففقد الأمن والأمان والاحترام .

اللهم نسألك الستر . وكانت هذه العبارة هى دعوتى فى ليلة القدر الماضية وفى كل ليلة قدر قادمة .. ونسأل الله أن تكون ساعة إجابة .

ولكنها المرة الأولى التي تنضم فيها قوة عظمى كروسيا إلى طابور الشاجبيين . ومن حقنا نحن العرب أن نفخر باختراعنا ، فقد نجحنا في التأثير على دولة عظمى تملك الرؤوس النووية والصواريخ العابرة للقارات .

عشا الغلابة

ما أشبه روسيا الاتحادية بالمعلم قطب فتوة حارة الفاتح بالجيزة ، كان إذا تعرض للضرب أو للإهانة وقف في الشارع وفتح جاعورته بكلام من نوع (أنا هاعمل الشيء اللي عمر حد ما عمله قبل كده بس عشان ما حدش يلومني أنا باشهد الناس اللي في الشارع ولما اقتل ثلاثة أو أربع رجالة ما حدش يجيب الحق على وخليكو شاهدين يا ناس أنا أنضرب على قفاي ؟!) ولم يكن المعلم قطب يفعل شيئاً أكثر من ك . ولكن الفرق الوحيد بين قطب وروسيا أن قطب كان من الصنف الغلبان ، شوكته مكسورة وظهره أيضا ، أما روسيا فهي إحدى القوتين العظميين وترسانتها الحربية تحوى أجيالا جديدة من الصواريخ العابرة للقارات وأسلحة نووية تكفى لتدمير العالم . ولكن يبدو أن هذه هي فكرتنا عن روسيا ، أما حقيقتها فقد كشفتها حملة هجوم حلف الأطلنطي على دولة الصرب . مجرد كيان غلبان ومهزوم ودايخ وخارج من القصر العيني .. وعشا الغلابة عليك يا رب !

الأطلنطي وفاسو

يا قوة الله .. ما جرى بالأمس على أرض البلقان هو بداية عصر جدير لا يعلم نهايته إلا رب العباد .. ففي اللحظة التي سقط فيها أول صاروخ لحلف الأطلنطي على أرض يوغسلافيا كانت هي اللحظة التي صدرت فيها شهادة وفاة الاتحاد السوفيتي القديم ووفاة وريثه روسيا الاتحادية . كانت حسابات العبد لله أن حلف الأطلنطي لن يجرؤ على الاقتراب من حدود روسيا . ودولة الصرب ليست جارة لروسيا فقط ولكنها صديقة روسيا الحليفة ، ولكن ثبت أن معلومات حلف الأطلنطي أكثر دقة من معلومات العبد لله . ومع توالي الضربات القاتلة لم تفعل روسيا أكثر من شجبها للعدوان الغاشم . والشجب اختراع عربي فرضه العرب على مناطق شتى في العالم ،

حلف فاسو

والشيء الذى يبعث على الفخر أن الأحداث الأخيرة أثبتت أن العرب ليسوا ظاهرة صوتية كما يزعم البعض فالواقع أنها ظاهرة حية وفاعلة مؤثرة ، وما هو اختراعنا الفريد « الشجب » ! انتقل بسرعة البرق من حدودنا إلى دول أفريقيا الغلابة ، ومن هناك انتقل إلى الدولة العظمى روسيا ، دليل أننا نحن العرب لازلنا مؤثرين وأساتذة لنا تلاميذ من بوركينا فاسو إلى روسيا فاسو ! ويخيل للعبد لله أن العالم ينقسم الآن إلى جبهتين ، حلف الأطلنطى وحلف فاسو . وبعد ضرب دولة الصرب لن يستطيع أحد أن يفتح فمه بكلمة ، حتى الشجب سيصبح محرما وممنوعا على الغلابة والمستضعفين !

خارج السرب

الغريب والعجيب أن إسرائيل وحدها هي التى تقف وحيدة خارج حلف وارسو .. دليل أن الرئيس كلينتون بجلالة قدره عقد معها إتفاق واى بلانتيشن ، ومع ذلك قالت للعالم كله .. لن أنفذ شيئا من الاتفاق وعليكم أن تلبوا الاتفاق وتشربوا ميثه ! والأغرب أن الرئيس كلينتون شجب الموقف الإسرائيلى واقترح على حكومة نتنياهو الكف عن بناء المستوطنات فى الأراضى الفلسطينية ..

وردت إسرائيل . بمزيد من المستوطنات ، وخذ عندك كل يوم مستوطنة . واستنكرت الأمم المتحدة عيب إسرائيل وعربيتها فى مدينة القدس . وردت إسرائيل قاطئة (طظ فى الدنيا كلها) وأمعنت فى عيبها وعربيتها فى القدس . وتكشفت الأمور عن واقع مؤلم للغاية ، الدنيا كلها بما فيها الولايات المتحدة والرئيس كلينتون فى حلف فاسو بينما إسرائيل وحدها فى حلف الأطلنطى . أليس هذا هو الوضع الحالى فى عالم اليوم !

مدرسة قطب

والذى يقهر النفس ويكسر القلب أننا نحن العرب كنا يوما ما سادة الأرض ، وكان شاعرنا يخاطب الدنيا كلها قائلا :

ونشرب إن وردنا الماء صفوا
ويشرب غيرنا كدرا وطينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاما
تخر له الجبار ساجدينا
إذا الملك الجبار صعر خده
مشينا إليه بالسيف معاتبينا

ولكن .. هل كنا حقاً كما وصفنا الشاعر إياه ؟ يخيل
للعبد لله أن الشاعر إياه كان من نوع المعلم قطب فتوة
شارع الفاتح . فقد كان هو الآخر ينطلق هائما على
وجهه في الشوارع يجتر أزمته ويعزى نفسه قائلا :

الحديد بلى وإحنا لم بلينا

والغريب أن شعر قطب من نفس الوزن ونفس البحر
الذي استخدمه الشاعر إياه بتاع زمان :

الحديد بلى وإحنا لم بلينا

تخر له الجبابر ساجدينا

مشينا له بالسيوف معاتبينا

والفرق أيها السادة ؟ يخيل للعبد لله أن عمرو بن كلثوم
شاعر زمان نطق بهذا الشعر وهو يجلس على الرمل
مستندا بظهره على جذع نخلة هارشا جلده بأظافره
الطويلة رابطا حجرا على بطنه من شدة الجوع صارخا
كما فعل المعلم قطب بعده بمئات السنين :

الحديد بلى وإحنا لم بلينا

يبدو أنها الحقيقة أيها السادة ، والشعراء يتبعهم
الغاوون ، سواء كان عمرو بن كلثوم أو قطب بن
الصايعة . وأننا نحن العرب كنا في حلف فاسو منذ بدء
الخليقة وحتى الآن !

زكى جمعة

عزاؤنا الوحيد أن العالم كله دخل معنا في حلف فاسو
الآن ، ولم تعد هناك فرصة لأي أحد مهما كان أن يرفع
رأسه أو يرفع صوته بالاحتجاج . وبالأصالة عن نفسي
أنا السعدني أبو عثمان أبو محمود اعترف لحضراتكم
أنني موافق ومبسوط وخدام لحلف الأطلنطي وحلف
المحيط الهادئ وأي حلف يظهر في المستقبل . ومستعد
للخدمة في أي وقت ومستعد أيضا لتوصيل الطلبات إلى
المنازل وعلى طريقة عادل إمام .. يعيش حلف الأطلنطي ..
يعيش زكى جمعة .. تعيش الوحدة العربية ! وأقول لكم
بصراحة وبشجاعة وبكل الأمانة والصدق :

الحديد بلى وإحنا لم بلينا !

البريطاني شعب مجرب ، جرب الفشل أكثر من مرة خلال الحرب العالمية الثانية وأصيب الجيش البريطاني بعدة هزائم مدوية ، كانت كل هزيمة منها كفيلة باستسلامه وخضوعه للألمان . ولكنه ابتلع الهزيمة وانتفض واقفا من تحت أنقاضها وعاود القتال ، وكان شيئا لم يكن وبراءة الأطفال في عينيه !



وكانت هزيمة الجيش البريطاني في دنكرك هي سبب في جبين أي جيش . عندما اضطر عشرات الألوف من القوات البريطانية إلى ترك أسلحتهم الثقيلة والخفيفة والهروب بأنفسهم إلى الشاطئ الانجليزي عبر بحر المانش ، ولم يكن انسحابهم طبقا لخطة موضوعة ولكنه كان فرارا من جحيم المعركة ولم يكن لهم هدف إلا النجاة بأنفسهم ، واشتركت في إنقاذهم مئات السفن التي اتفق وجودها في البحر وقتئذ . قوارب صغيرة ومراكب صيد ومراكب شحن قليلة الحمولة . ولذلك فقد عدة مئات من الجنود أرواحهم بسبب تدافعهم ورجبتهم في اللحاق بأي شيء يسبح فوق سطح الماء ، مما أدى إلى انقلاب بعض المراكب وغرق بعض القوارب . وتصور الألمان بعد معركة

ترعة المانش

هزنى من الأعماق نبا انتحاب السباح العالمى عبد المنعم عبده وكيلا لاتحاد السباحة . والبطل عبد المنعم عبده بلغ الثمانين من عمره مد الله فى عمره ، وهو أكثر السباحين المصريين شهرة فى أوروبا ، بالرغم من أنه فشل عدة مرات فى عبور المانش . ولعل هذا الفشل الذى صادفه أكثر من مرة فى عبور المانش هو السبب فى شهرته وفى الاحترام العميق الذى يحظى به خصوصا فى بريطانيا . والسبب أن البريطانيين لا يحتفلون بالذى يحقق النجاح فقط ولكنهم يحتفلون أكثر بالبطل الذى يفشل ثم يعاود المحاولة من جديد . فإذا عاود البطل المحاولة أكثر من مرة ، فمعنى هذا أنه رجل مقاتل لا يعترف بالهزيمة ولا يستسلم للفشل والشعب

دنكر ك أنهم هزموا الجيش البريطاني بالضربة القاضية
وأنه لن يفيق منها أبدا !

معركة طبرق

وكانت معركة طبرق هي الهزيمة الثانية وهي الهزيمة
الساحقة الماحقة .. على رأى المعلق الشهير عادل هريف
يرحمه الله . ويومها يسقط فى الأسر عشرات الألوف من
البريطانيين وأضعاف هذا العدد من الهنود وأبناء
المستعمرات الأفريقية . وكانت هذه المعركة سببا فى عزل
القائد البريطانى ومحاكمته . وابتلعت الصحراء مئات من
الجنود البريطانيين الذين تفرقوا داخل الصحراء طلبا
للنجاة ، وكانت النتيجة موت هؤلاء الجنود عطشا
وجوعا . ومرة أخرى تصور الألمان أنهم تخلصوا إلى
الأبد من هذا العدو المشاكس .. غير أن البريطانيين أثبتوا
أنهم خبراء فى امتصاص الهزائم والعودة من جديد أكثر
عنادا وتصميما على مواصلة القتال . ولذلك كان
انتصارهم نهائيا لأنه تحقق بعد سلسلة من الهزائم
المريرة . وحقق البريطانيون عمليا المثل القائل .. الضربة
التي لا تقتلنى تزيدنى قوة .

البطل الأستاذ

والسباح العالمى عبد المنعم عبده فى نظر البريطانيين
هو النموذج الحى لهذا المثل البريطانى الشائع ، فقد حاول
عبور المانش مرة وفشل وحاول مرة ثانية وفشل وحاول
مرة ثالثة وفشل ، ولكنه لم يكف ولم يتوقف ، كان يعود
كل مرة إلى الشاطئ ويكرر المحاولة ، حتى نجح أخيرا
وعبر المانش وصار أشهر مائة مرة من البطل مرعى حماد
والبطل حسن عبد الرحيم وهما البطلان اللذان حققا
المعجزة ، ونجحا فى عبور المانش من أول محاولة . ولم
يكن أحدهما قد رأى المانش من قبل ، فليس مهما أن تعبر
ولكن المهم أن تحاول إذا فشلت ثم تحاول مرة أخرى ، ثم
تستمر فى المحاولة . فهذا هو النضال الحقيقى وهذا هو
جوهر الروح الإنسانية التي لا تكل ولا تمل ولا تكف
ولا تتوقف . فالحياة نفسها هي محاولة يومية ، كما أنها
محاولة مستمرة رغم الخيبة والفشل وسوء الحظ ..
فالعبد لله لا يشعر بوجد حقيقى نحو البطل عبد المنعم عبده
ورؤملائه من السباحين الكبار ، لأن العبد لله يكره السباحة
ويكره النزول فى الماء كما أننى فشلت مرة واحدة فى
عبور ترعة سبك وقررت عدم إعادة المحاولة ، وحتى الآن

اذهب إلى شاطئ البحر كل صيف وأمارس هوايتي وهي النوم بالنهار والسهر بالليل مكتفيا بالجلوس على الشاطئ أرنو من بعيد إلى الأمواج وهي تتلاطم وإلى السباحين وهم يتلعبون في الماء . ومع ذلك ولأن النفس أمارة بالسوء فكرت ذات مرة في إعادة المحاولة . وكان ذلك ذات صيف على شاطئ رأس البر فقررت أن أخوض التجربة تحت إشراف استاذ مشهود له وكان الاستاذ هو البطل عبد المنعم عبده !

مع الأستاذ

وجلس أستاذي معي على الشاطئ يشرح لي المسألة ببساطة . قال : ليس عليك إلا أن تستلقي على الماء وأن تحرص على أن يكون رأسك عاليا . وسأقوم أنا بباقي العمل . ولن تحتاج إلا إلى ثلاث محاولات ، وبعدها تصبح سباحا . فقد تتطور أحوالك في المستقبل فتعبر المانش ، وربما تتطلع إلى أبعد من هذا فتعبر البحر الأبيض المتوسط ، وقد تقاطع شركات الطيران في المستقبل فيصبح سفرك إلى أوروبا بالمجان ، وقد تتخذ منها مهنة في المستقبل وتأخذ المسافرين على ظهرك مرة إلى فرنسا ومرة إلى اسبانيا ومرة إلى اليونان .. وقلت

للبطل عبد المنعم عبده .. العبد لله زجل بسيط وأحلامه متواضعة وكل ما أرجوه هو أن أتمكن من عبور ترعة سبك التي لا يزيد عرضها على خمسة أمتار والتي فيها من الطين أكثر مما فيها من الماء ، والتي ليس فيها من الأسماك إلا البساريا وبعض الضفادع والديدان . ورد على البطل العالمي وقال .. كل الأبطال العظام كسنت أحلامهم متواضعة مثل أحلامك ، ورحلة الألف ميل كما يقولون تبدأ بخطوة واحدة وستدخل ترعة سبك التاريخ باعتبارها الخطوة الأولى لمشوار البطل العظيم في مستقبل الأيام . وتوكلت على الله ونزلت الماء عند شاطئ رأس البر ومعى البطل عبد المنعم عبده ، وفعلت كما أمرني بالضبط استرخيت على المياه وفردت ذراعي أمامي ورفعت رأسي إلى أعلى ومد يده وحملني بكفيه لكي أبقى عائما فوق الماء ، ورحت أضرب بقدمي في الماء بشدة وأجذف بذراعي ، وقضيت نصف ساعة أبلب في الماء ثم قال .. هذا يكفي اليوم وغدا يوم آخر . ولكن لأن كل شيء مرهون بمشيئة الخالق ، ولأنني أريد وأنت تريد ولكن الله يفعل ما يريد ، فقد خرجت من الماء وقد شب حريق في كف يدي ولا حرائق آخر السنة قبل الجرد !

أفيون وحشيش

وقضيت النهار كله أهرش بأظافري حتى تشقق جلدي ثم زادت رغبتى فى الهرش فاستعنت بأسناني حتى بدت عظامى . وذهبت إلى القاهرة وأنا فى حالة يرثى لها وجلست أمام الدكتور حسن الحفناوى يرحمه الله ومددت له يدي وفحصنى وتمتم بكلمة واحدة . بسيطة . ثم وصف لى دواء وناولنى إياه وقال خذ حبة صباحا وحبة مساء . وقلت للدكتور الحفناوى : لقد استخدمت عشرة أدوية حتى الآن ولكن الحال ازداد سوءا . فابتسم وقال : ولكن هذا الدواء سيشفيك على الفور . وبالفعل عندما تناولت الحبة الثانية فى المساء توقفت كل الآلام واندملت الجراح وكأنى كنت أمزح .. وواقبت على تناول الدواء ، وعندما حان وقت كتابة مقالى الأسبوعى فى مجلة صباح الخير ، وجدت نفسى عاجزا عن كتابة أى حرف . لم أعد أشعر برغبة فى الكتابة وشعرت بأننى غير قادر على الانفعال ، وتحولت إلى شخص سعيد بلا مناسبة وهادئ بلا مبرر ، تجردت من كل مشاعر الغيظ والغيرة ، وتبدل إحساسى وكأنتى أبله لا أرغب ولا أطمع ولا أتحمس ولا أريد . وزارنى صديق مجرب ونظر إلى وجهى طويلا

وتساءل بدهشة مالك يا محمود ؟ قلت : لا شىء . عاد يسأل : هل أكلت شىء ؟ أجبتة : بالطبع أكلت بيضا وفولا فى الإفطار . قال : أسالك هل استحلبت قطعة أفيون ؟ هل بلعت قطعة حشيش ؟ قلت : أنا لا أتعاطى هذه الأشياء . قال : ولكن لون وجهك غريب وفى عينيك لمعة لم أرها من قبل . قلت : ربما من المرض الذى ألم بى . قال : وهل تأخذ دواء . قلت : نعم .. وهذه هى العلبة !

المهم النية

واختطف صديقى العلبة من يدي وألقى بمحتوياتها فى سلة المهملات وقال لى : يخرب عقلك يا محمود تتناول الكيرتزون . قلت : وما هو الكيرتزون ؟ قال : هذا أخطر دواء اكتشفه الإنسان ، هذا دواء مفعوله سحرى فى البداية ، ولكن رد فعله وآثاره الجانبية لا أحد يستطيع أن يتنبأ بها على الإطلاق . وهكذا شفيت ، ولكن قضيت أسبوعين بعد أن توقفت عن تناول الدواء فى حالة « تبليم » كأنتى سكران أو مسطول أو مضروب علقه من محمد على كلاى . وقاطعت البحر وأقسمت ألا أعود إليه ، وخاصمت البطل عبد المنعم عبده ، وأقسمت ألا تكون لى به علاقة لا هو ولا غيره من أبطال السباحة الميامين . لقد

ثبت أن ترعة سبك لها لعنة مثل لعنة الفراعنة وأنها أقوى من المانش ومن عبد المنعم عبده ومن حلف الأطلنطي نفسه ، وقررت عدم التعامل معها على الإطلاق ، لا فى البر ولا فى البحر . ويكفينى أننى حاولت وفشلت وسيذكرنى الجميع يوما ما رأسى برأس عبد المنعم عبده ، الذى فشل هو الآخر وحاول . إذا كان هو قد عاود المحاولة أكثر من مرة ، فالمهم النية ولكل امرئ ما نوى ، وأنا نويت وانتهيت ، وليه بقى لوم العزل .. مع الاعتذار للمعلم الكبير سيد درويش . تحية للبطل الكبير عبد المنعم عبده وتهنئة من القلب لانتخابه وكيلا لاتحاد السباحة . فهو الرجل المناسب فى المكان المناسب . لعل السباحة تزدهر فى عهده السعيد ! .

حلاوة زمان

العبد لله كان أول صحفى سلط الأضواء على المشايخ من مقرئى القرآن ، وجعل من قصصهم مادة مقروءة يحرص على قراءتها ألوف القراء . وكانت البداية فى عام ١٩٥٠ عندما نشرت ما تيسر عن الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ الشعشاعى والشيخ محمد سلامة وآخرين على صفحات جريدة صوت الأمة . لم يكن أحد من الصحفيين قد سبق العبد لله فى ارتياد هذا المجال إلا الأستاذ الزجال المعروف محمد عبد المنعم أبو بثينة ، عندما خاض معركة صحفية ناجحة إلى جانب الشيخ رفعت ضد مدير الإذاعة المصرية الانجليزى الذى اختلف معه الشيخ رفعت وانتهى الحال بينهما إلى مقاطعة الشيخ رفعت للإذاعة وكان من نتيجة الحملة الصحفية التى خاضها الأستاذ أبو بثينة أن اعتذر المدير الإنجليزى للشيخ رفعت وعاد الشيخ صاحب

الصوت الذهبى ليشدو بآيات الذكر الحكيم من خلال ميكرفون الإذاعة . وبالرغم من أننى من عشاق الشيخ رفعت ، وبالرغم من إيمانى الشديد بأنه أعظم من رتل القرآن فى كل العصور بعد سيدنا بلال ، بالرغم من ذلك كنت أتمنى لو يستجيب الشيخ رفعت لطلبات المدير الإنجليزى ، فقد كان يرغب فى تسجيل القرآن كله بصوت الشيخ . ولكن بعض أبنائه وبعض أصدقائه رفض الصفة ، ونصحوه بعدم التسجيل ، ظنا منهم أن تسجيل القرآن بصوته سيجعل الإذاعة تستغنى عن خدماته .

زاوية أسبوعية

وكانت نتيجة هذا الموقف المؤسف هو أننا خسرنا هذا الكنز الذى ليس له مثيل ، فليس للشيخ العبقري إلا تسجيلان اثنان أحدهما يحتوى على سورة طه والآخر يتضمن سورة مريم . وفيما عدا هذين التسجيلين فهى كلها بفعل هواة استخدموا أجهزة تسجيل غير صالحة لمثل هذا العمل التاريخى الخالد . وفى عام ١٩٥٤ قمت وعلى مدى عدة أشهر طويلة بكتابة زاوية أسبوعية عن مشاهير القراء فى مصر ومنذ عمنا الكبير الشيخ أحمد نوا وإلى حبيبنا الشيخ محمود على البناء ، نسال الله أن يرحم الجميع وأن يسكنهم فسيح جناته ، ثم جمعت المادة فى كتاب اعتقد أنه أول كتاب من نوعه عن مشايخ التلاوة

وصدر الكتاب بعنوان - ألحان السماء - ومن عجائب الصدف أنه صدر والعبد لله نزيل سجن الواحات الخارجة بتهمة الشيوعية .

صفحة كاملة

والحق أقول أنه سبقنى فى هذا العمل فصل فى كتاب من تأليف عمنا الشيخ عبد العزيز البشرى .. وكان يضم صوراً غاية فى الإبداع لسياسيين وشعراء وأدباء وفنانين .. وكان من بينهم فصل عن الشيخ على محمود يرحمه الله . ومنذ صدور الكتاب - ألحان السماء - صار من عادة الصحف نشر فصول عن مقرئى القرآن الكبار . وفى سنوات الضياع خارج مصر وعندما التحقت بالعمل فى جريدة السياسة قمت بإجراء حديث مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد وقمت بنشره على اتساع صفحة كاملة . وقبل نشره سألتنى أحمد الجار الله مندهشاً : حديث مع مقرئ ؟ ومن حسن الحظ أن أحمد الجار الله لم يكن من طبقة رؤساء التحرير الذين يفرضون رأيهم أو ذوقهم على صفحات جريدته . وبعد نشر حديث الشيخ عبد الباسط نشرت حديثاً آخر للشيخ أحمد الرزيقى وبعد ذلك صارت أحاديث المشايخ مادة مقررة على صحف الكويت ، خصوصاً فى مناسبة شهر رمضان !

أبواب ثابتة

وستجد الآن في بعض الصحف أبواباً ثابتة . بمناسبة الشهر الفضيل عن المقرئين ، وحتى القناة الفضائية المصرية تذيع برنامجاً أسبوعياً عن المقرئين القدامى ، منهم من يستحقون الذكر والخلود ، وبعض الجدد منهم من يستحقون النشر عنهم أو إذاعة قصص حياتهم في برنامج أشهر الجرائم . المهم أنه صار مألوفاً الحديث عن المقرئين أو الحديث معهم باعتبارهم نجوماً زاهرة في المجتمع لهم جمهور من المعجبين هو بالتأكيد أعرض من جمهور المطربين والفنانين ، خصوصاً عندما يكون المقرئ نجماً من طبقة الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبد الباسط عبد الصمد والشيخ أبو العينين شعيشع والشيخ الطبلاوى .

محمد جبريل

ولكني أخشى أن تفقد هذه الطائفة اهتمام الناس بهم بعد عدة سنوات ، فلم يعد في دولة التلاوة من يستحق الاهتمام به . البعض منهم ما يزال على قيد الحياة ولكنهم على وشك الرحيل . ولكن الساحة تضيق بالمقلدين الذين لا يجيدون التقليد وبالفاشلين الذين اخطأوا طريقهم في الحياة فاحترفوا مهنة لا تليق بهم وليسوا مؤهلين لها . ولو ظهروا قبل ثلاثين عاماً لكان مصيرهم بالتأكيد مقابر

الإمام الشافعى ، لأن مواهبهم لا تصلح إلا للقراءة في المقابر . وصحيح أن من بين الشباب الصاعد من يبشر بالخير كالشيخ محمد جبريل مثلاً ، فله صوت حسن وطريقة ممتازة . ولا أعرف الأسباب التي أدت إلى تجاهل أجهزة الإعلام المصرية له بينما تفسح في حفلاتها الدينية وفي ميكروفوناتنا وقتاً طويلاً لعديمى الموهبة ومعطوبى الحنجرة . قد يكون السبب فى المقاطعة هو الشيخ جبريل نفسه لأنه مغرور ببعض الشيء ومفتون بنفسه على نحو ما ، ولكن لا عذر لأجهزة الإعلام لأنها تتعامل مع المواهب وليس مع أصحابها . وقد يكون الموهوب مغروراً أو مفتوناً ، ولكن ما المانع إذا كانت موهبته تسعد الناس .

٥ دقائق

والعبد لله يتهم التليفزيون المصرى بأنه السبب فى انطفاء جدوة هذا الفن ، لأن مساحة تلاوة القرآن الكريم قبل مدفع الإفطار اختصروها فى رمضان الحالى إلى ٥ دقائق وكانت نصف ساعة قبل ربع قرن .. وحرموننا هذا العام من الاستماع إلى الأصوات العظيمة التى كانت تذكرنا بأننا فى شهر رمضان . أصوات المشايخ العظام : الشيخ عبد العظيم زاهر والشيخ منصور الشامى الدمهورى والشيخ فريد السنديونى . وزمان مثلاً كانوا يذيعون صلاة الفجر بالقرآن الكريم ثم بالابتهالات الدينية

ثم يختمون الفقرة بالقرآن قبل إقامة شعائر صلاة الفجر
أما الآن فهم يكتفون بإذاعة القرآن في البداية ثم
الابتهالات الدينية ثم الصلاة . والعبد لله لا يتهم القائمين
على أمور التليفزيون بأى شيء ، ولكنه فساد في التنسيق
وفساد في معرفة نبض الجماهير . وهو السبب نفسه
الذي أدى بهم إلى سجن صلاة الجمعة وقتا طويلا في
هذا الخندق المسمى بمسجد التليفزيون . ولولا أننا
زجرناهم زجرا شديدا لبقيت صلاة الجمعة محاصرة في
هذا الخندق حتى الآن .

الفن العظيم

على العموم .. قراءة القرآن بالطريقة المصرية هي فن
عظيم كما أنها الطريقة الأفضل والأحسن على اتساع
العالم الإسلامى وحرام أن نترك هذا الفن العظيم يموت
ونحن شهود على ذلك . وعلى أجهزة الإعلام أن تبحث
عن الأفضل والأحسن لتقدمه للناس من أوسع الأبواب
بدلا من الأصوات الملساء والأصوات الصلعاء .. وكلها بلا
نبض ولا إحساس .

ورحم الله أياما حرص فيها الملك محمد الخامس على
استدعاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد لإحياء ليالى شهر
رمضان في قصره بالصخيرات ، وأياما أخرى أوصى
فيها الملك غازى ملك العراق بأن يقرأ في مأتمه الشيخ

شعيشع والشيخ الشعشاعى .. يرحمه الله .

ما الذى جرى ؟ وكيف تغيرت الأحوال ؟ ولماذا انحسر
المستوى على هذا النحو ؟

والله يرحمه ويحسن إليه عمنا المرحوم الشيخ منصور
بدار مقرئ السلطان العثمانى فى القسطنطينية ، والله
يرحمه ويحسن إليه عمنا الشيخ محمد رفعت والله يرحم
الجميع ويغفر لهم ، من أول الشيخ محمد سلامة إلى
الشيخ محمد الصيفى إلى الشيخ مصطفى إسماعيل إلى
الشيخ الشعشاعى إلى الشيخ عبد العظيم زاهر إلى الشيخ
السنديونى إلى الشيخ المنشاوى إلى الشيخ عبد الباسط
عبد الصمد إلى الشيخ محمود البنا إلى كل المشايخ الكبار
نجوم دولة التلاوة الذين سبقونا إلى رحاب الله لم يبق
من هؤلاء الكبار إلا الشيخ أبو العينين شعيشع حفظه الله
وابقاه ، باعتباره نفحة من حلاوة زمان . لقد تذكرت كل
هؤلاء لحظة وقع بصرى على أسماء الفائزين فى المسابقة
الدولية للتلاوة التى أقيمت فى دى والتى اشترك فيها
عشرات من الموهوبين من أنحاء العالم الإسلامى .
ولم أجد مصرى واحدا بين الفائزين . بينما كان من بين
الفائزين سودانى وصومالى وواحد من الجمهورية
البوسنية وواحد من قطر .. وواحد من ماليزيا ومبروك
طبعا للفائزين . وأقول لكم أننى بقدر ما حزنت لغياب

فائز مصري واحد ، بقدر ما فرحت لفوز متسابق من جمهورية البوسنة . هذا الفائز هو مندوب شعب البوسنة الأوروبى المسلم الذى أراد المتآمرون إبادته . ولكن شعب البوسنة المسلم تصدى للمؤامرة وواجه المتآمرين وأفضل خطتهم . وبعد الحرب تمكن من أن يقدم للعالم الإسلامى شابا فى ربيع العمر يرتل القرآن بصوت جميل وبأسلوب باهر وساحر وجميل .

هذا هو السؤال

ونفس الشيء حدث للعبد لله تذكرت كل الراحلين العظام من نجوم دولة التلاوة عندما استمعت إلى شاب إيرانى يرتل القرآن الكريم فى حفل افتتاح المؤتمر الإسلامى فى طهران . كان الفتى شابا فى ربيع العمر يتمتع بلياقة بدنية عالية ، صدره صدر ملاكم ، ونفسه نفس عداء أفريقى ، وطبقات صوته سليمة سواء فى طبقة القرار أو فى طبقة الجواب وجواب الجواب . والمدهش أنه كان يقرأ بطريقة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد . وأشهد أن الشاب الإيرانى ذكرنى بالشيخ عبد الباسط عبد الصمد فى بداياته عام ١٩٥٠ . وكان نجاح الشاب الإيرانى المذهل فى أداء جميع الطبقات . جامعا فى الوقت نفسه بين قدرة الشيخ رفعت فى طبقة القرار وقدرة الشيخ مصطفى إسماعيل فى طبقة جواب الجواب . كان هذا

النجاح المذهل سببا فى أن أطرح على نفسى سؤالا : ماذا جرى لهذا الفن السماوى فى مصر ؟ وما الذى جعل المصريين يتراجعون فى دنيا التلاوة بعد أن كانت لهم السيادة وكان من بينهم العباقرة الأوائل الذين رحلوا عن دنيانا إلى رحاب الله ؟!

كتايب سيدنا

نعم .. ما هو سبب تراجعنا فى هذا المجال إلى الدرجة التى تحتاج إلى خبراء لرصدها ؟ ولكن من السهل على أى سميع عادى أن يرصدها ببساطة ، ليس العباقرة وحدهم هم الذين نفتقدهم الآن ، ولكن حتى المقرئين من الطبقة التى جاءت بعد العباقرة مثل الشيخ البهتيمى والشيخ هريدى الشوربجى والشيخ السعدنى والشيخ محمود عبد الحكم والشيخ منصور الشامى الدمنهورى والشيخ عبد الرحمن الدروى .

نعم .. ما السبب ؟ هل هو اختفاء الكتايب فى ريف مصر ؟ وبالتالى اختفاء سيدنا الذى كان يقوم بتحفيظ القرآن للأطفال وهو يمسك بيده العصا اللهوية لمعاقبة المهملين والذاهلين ؟

أساتذة التغذية

هل هذا هو السبب أم أن هناك أسبابا أخرى يجب اكتشافها والوصول إلى علاج لها .. ولا يمكن أن يقوم

بهذه المهمة إلا لجنة عليا من كبار علماء الدين وكبار علماء الاجتماع وكبار الأطباء وأساتذة علم التغذية . وقد يسأل سائل : وما علاقة كبار أساتذة التغذية بهذا الأمر ؟ والإجابة جاءت على لسان الشيخ أبو العينين شعيشع عندما وجهت له إذاعة لندن سؤالاً عن السبب في تراجع هذا الفن الجميل في مصر . فأجاب بأن السبب هو اختفاء الطعام الحقيقي ليحل محله هذا الطعام البلاستيك الذي نأكله الآن . وكلام الشيخ أبو العينين شعيشع هو كلام جاد جدا وليس مزاحا . لأن الغذاء هو الذى يبني الجسم ، والأحبال الصوتية هي جزء من جسم الإنسان . وإذا كان الطعام من البلاستيك فلا بد أن تكون العضلات والمجانب والضلوع والعظام والأحبال الصوتية أيضا من الصنف نفسه .

اقرأوا الفاتحة

ثم .. هناك سبب رئيسي يعتبر في المقدمة من الأهمية وهي لجنة الاستماع فى التلفزيون والإذاعة التى أصبحت مقرا وممرا لكل الأصوات حتى لا تصلح للعويل والصراخ . ويقول البعض أن لجنة الاستماع حتى لو ضمت أرفع مستوى من الخبراء فإنها لن تغير شيئا ، لأن الأصوات الموجودة الآن تحتاج إلى لجنة تصليح وليس إلى لجنة استماع . وفى مواجهة هذه الأوضاع

المتردية لا نملك جميعا إلا أن نرفع أكفنا إلى رب السماء طالبين منه سبحانه وتعالى أن يرفع مقته وغضبه عنا ، وأن يمنحنا القوة على العودة إلى العصر الذهبى للتلاوة ، عصر محمد رفعت ومصطفى إسماعيل .

وتحية من القلب إلى كل شاب فى عمر الزهور اشترك فى مسابقة دى الدولية . وتحية خاصة للمتسابقين من البوسنة ومن رومانيا ومن الولايات المتحدة الأمريكية . ومبروك للذين نجحوا ، وحظ أسعد للشباب المسلم الذين لم يحالفهم التوفيق فى مسابقة دى .. حظ أسعد لهم فى مستقبل المسابقات .

واقرأوا الفاتحة فى هذا الشهر الكريم على روح الشيخ محمد رفعت والشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، وعلى أرواح جميع العباقر من المقرئين الذين انتقلوا إلى رحمة الله .

ونتصرف مع النصر والهزيمة بروح رياضية . ولا
 اكشف سرا إذا قلت أن العبد لله والوفاء آخرين من
 المشجعين في بر مصر كانوا يضعون أيديهم على قلوبهم
 إشفاقا وخوفا على مصير منتخب مصر وهو يلعب غريبا
 ووحيدا وسط الألوف المؤلفة من أبناء بوركينا فاسو .
 ولكن .. لماذا في بوركينا فاسو بالذات ؟ ولقد سبق لنا
 اللعب في بلاد أفريقية كثيرة ولم نجد من جماهيرها إلا
 كل ما يجعلنا نهدأ ونطمئن ؟ السؤال وجيه والجواب
 حاضر أيضا . لأن بوركينا فاسو مجهولة لنا نحن
 المصريين ولا نعرف عنها إلا أنها كانت معروفة باسم
 فولتا العليا ، ثم إن الكورة البوركيناوية ليس لها في
 تاريخ الكورة الأفريقية سمعة ولا ذكر وبالطبع كان أمل
 مشجعي بوركينا أن يخرجوا من الدور الأول بشرف .
 ولكن الذي حدث كان أعجب من العجب وصل الفريق
 البوركيني إلى دور الثمانية ، ثم قفز إلى دور الأربعة .
 معجزة كروية ليس لها تفسير .. بوركينا فاسو تصعد
 لدور الأربعة بينما خرج من البطولة فرق لها تاريخ ولها
 عزوة ، وبعضها حجز لنفسها مكانا في كأس العالم .
 خرجت غانا وكوت ديفوار وتونس والمغرب وزامبيا
 والجزائر وغينيا ولم يبق إلا بوركينا فاسو . وفريق بهذا
 الحجم يصبح عشمه في الكأس أشبه بعشم إبليس في

البركان .. والفاسو

بصراحة وبوضوح وبأمانة أيضا العبد لله
 يريد أن يصارح أبناء شعبه خصوصا جماهير
 الكورة منهم أن يتعلموا من إخوانهم أبناء
 أفريقيا السوداء .. نتعلم إيه ؟ حضارة . نحن
 أبناء أول حضارة عرفها التاريخ . نحن أول من كتب
 الكلمات على الورق ، ونحن الذين علمنا الدنيا الرسم
 والموسيقى والنقش على الحجر . ونحن أول من عبد ،
 عبدنا الطائر والعجل والشمس ، وكنا أول من اهتدى إلى
 عبادة الإله الواحد . حتى الحكومة المركزية القوية
 القابضة على صولجان العدل والحكمة هي أحد
 الاختراعات المصرية .

عشم إبليس

طيب .. نتعلم إيه من أفريقيا ؟ نتعلم السلوك الرياضي

الجنة ، لكن ليه ؟ ما دمنا وصلنا إلى هذا المستوى فلماذا لا نكمل المشوار والفرق التي بقيت في الميدان ليست أفضل من الفرق التي خرجت ، وهو حلم مشروع خصوصا والأرض أرضهم والجمهور جمهورهم وحكام الكورة في مثل هذه الظروف يضطرون إلى مجاملة الفريق صاحب الملعب وصاحب الجمهور ، خصوصا إذا كان رئيس الدولة على رأس جمهور المتفرجين . وهي حالة ليست وقفا على الدول الأفريقية ، ولكنها أصبحت عامة في مسابقات الكورة ، حتى في قارة الفنون والفنون وحقوق الإنسان أوروبا . أذكر أنني تابعت مباريات كأس العالم ١٩٦٦ في لندن . وعشية المباراة الختامية بين إنجلترا وألمانيا سألت الفريق عبد العزيز مصطفى . وكان وقتها يشغل منصب نائب رئيس الاتحاد الدولي . سألته من الذي سيفوز بالكأس غدا ؟ سألتني بدوره : كأس إيه ؟ أجبتة : كأس العالم فيه غيره .. قال الرجل المسئول في اتحاد الكورة : في الكورة تكسب ألمانيا ولكن الكأس تحصل عليه إنجلترا . سألته : كيف ؟ قال : بكرة تتفرج وتشوف . وفي الغد تفرجت وشفت ، وأقسم لكم بكل المقدسات أن الذي فاز بالمباراة هو فريق ألمانيا أما الكأس فقد ذهب إلى فريق إنجلترا ، والفضل للحكم السويسري ولحامل الراية الروسي . وكان أغرب شيء سمعته من

الفريق عبد العزيز مصطفى هو قوله .. ليس من المعقول أن يعطى الكأس للفريق الألماني وسط مائة وخمسين ألف مشاهد انجليزي وعلى رأسهم جلالة الملكة .

صُحايا النصر

لذلك أشفقت على فريق مصر وسط هذه الألوف المؤلفة من أهل بوركيننا فاسو ، وتمنيت في لحظة من اللحظات هزيمة الفريق المصري حتى يتمكن أبناؤنا من العودة سالمين إلينا . خصوصا وقد حدث في مباراة بالدور الأول بين بوركيننا فاسو وفريق آخر أن نزل جمهور بوركيننا فاسو إلى أرض الملعب ، ليس بقصد ضرب الفريق المنافس ، بل للاحتفال بالفوز ، وكانت النتيجة أربعين جريحا نقلوا إلى المستشفيات بخلاف عشرات آخرين فضلوا العودة إلى بيوتهم بجراحهم . وأكدت هذه الصورة في ذهني حديث زميل صحفي شاب سافر مع الفريق إلى بوركيننا فاسو وعاد إلى القاهرة بعد انتهاء الدور الأول وهو الأستاذ جميل كراس بمجلة صباح الخير . وصف لي الزميل جميل مدى عشق شعب بوركيننا فاسو لكزة القدم .

يصرخون في المدرجات ويرقصون ويغنون بدون توقف ، ثم كيف نزلوا إلى أرض الملعب يحتضنون اللعبة

ويرفعونهم على الأعناق ، وأن الذين جرحوا أصيبوا بسبب الزحام . وقلت في نفسي : إذا كان أربعون فردا جرحوا بعد الفوز فكم يكون عددهم بعد الهزيمة !؟

أروع درس

وحان وقت المباراة مع مصر ولم يبق على الحلو إلا دقة واحدة إذا اجتازت بوركينا فاسو هذه العقبة صارت على القمة وتكون الحماسة غلبت الفن والقوة ضربت الحرفنة . ولكن الحكم الخواجا كان أشجع وأعقل من رأت عيني في الملاعب ودارت المباراة وسط غناء الجمهور وصخبه ، ثم جاء الهدف المصرى نتيجة حركة هي خليط من الذكاء المصرى والفهلوة البلدية ، وصمت اللاعب كله صمت القبور ، ثم عادت المدرجات إلى الصخب والغناء عندما اشتد الهجوم البوركينى ولكن بلا نتيجة . ثم عاد إلى الصمت بعد الهدف الثانى وهو هدف ملعوب ومرسوم وهو ثمن تعاون ومناصفة بين حازم وحسام ، ثم أطلق الحكم صفارته الأخيرة . وأغلقت عيني قلعا وإشفاقا ، ثم فتحتها لأجد ما جعلنى أقف احتراما لشعب بوركينا فاسو . لم يلق أحد منهم حجرا ولا زجاجة ولا قشرة موز . تقبلت الجماهير النتيجة بهدوء وغادروا الملعب فى نظام وهذا هو الذى يجب أن نتعلمه من مشجعى الكورة

الأفريقية ، فالفوز وارد فى مباريات الكورة والهزيمة أيضا . والهزيمة فى الكورة ليست مثل الهزيمة فى الحرب ، والفريق الآخر ليس عدوا لفريقنا ولكنه منافس له . هذا الدرس هو الذى يجب أن نتعلمه ونطبقه فى الملاعب .

العمامة الألمانية

ما أبعد الفرق بين سلوك الجمهور البوركينى وسلوك الجمهور المصرى فى مباراة فريقنا مع فريق زيمبابوى فى تصفيات مونديال أمريكا . تقدم الفريق المنافس بهدف .. وعدوك .. عنيك ما تشوف إلا النور ، زجاجات وقطع حجارة وقشر يوستفندى وبرتقال . وانتهدز مدرب زيمبابوى الفرصة ولف رأسه بعمامة من الجبس وكأنه أصيب بقذيفة فى معركة برلين .. وكانت النتيجة إلغاء المباراة وإعادةتها على أرض فرنسا ، وخرجنا من التصفيات بخيبة الأمل راکبة جمل . سلام مربع للسلوك المتحضر لشعب بوركينا فاسو وحظ أسعد فى المباريات القادمة ، وألف شكر للبطولة الأفريقية الحالية التى أخرجت الكبار وأخرجتهم .. وأثبتت أن المنتخب المصرى من معدن البركان ، والفرق المنافسة من معدن الفاسو .

شكل ، ولكنه يسعى إلى تحقيق العدالة والوصول إلى الحقيقة مهما كانت مرة وثقيلة على النفس . وقصة الولد الصدمان الغلبان ولعة ليست جديدة ولكنها تكررت كثيرا في الماضي وتحدث الآن وستتكرر في المستقبل ، ليس في مصر فقط ، ولكن في معظم بلاد العالم !

ولعة القديم

أذكر حادثا وقع في الأربعينات من القرن العشرين وفي فترة الحرب العالمية الثانية .. كانت الشرطة قد ألقت القبض على مكوجي في الجيزة يدعى سيد بكر بتهمة سرقة شقة في الجيزة . وبعد ثلاثة أيام من القبض عليه اعترف المكوجي أمام مباحث الجيزة بسرقة الشقة وكرر اعترافه أمام النيابة ثم كرره أمام القاضي . وجاء حكم المحكمة بحبس سيد بكر لمدة عام . ولم يهتم بالحادث أحد إلا أفراد أسرة سيد بكر والذين كانوا يتعاملون معه من خلال دكان المكوجي .. وبعد خمسة أشهر فوجيء الناس في الجيزة بالافراج عن سيد بكر المكوجي . وأذكر أننا عندما سألناه عن السر في الإفراج عنه ، طبع عدة قبلات على يده ظهرا وبطنا وحمد الله وأثنى على رسله وكتبه وقال : إن المباحث ألقت القبض بطريق الصدفة على اللص الحقيقي وضمنت المسروقات عنده ، فقامت بتقديمه

الولد ولعة !

السؤال الذي يطرح نفسه بقوة بعد قرار النائب العام بالإفراج عن الولد الغلبان الصدمان « ولعة » الذي قدمته المباحث الجنائية للنيابة باعتباره بطل محاولة اغتيال نجم الإسكواش العالمي أحمد برادة ، السؤال الذي يطرح نفسه : كم « ولعة » الآن خلف القضبان في السجون؟ وهل هناك طريقة لفرز نزلاء السجون لمعرفة الذين هم من صنف ولعة والفصل بينهم وبين الذين هم من صنف المجرمين؟ وحظ ولعة الطيب أنه اتهم في قضية نجم على المستوى العالمي ، وحظه الطيب أيضا أنه تم القبض عليه في عهد النائب العمومي الحالي ، وهو رجل أثبتت كل التجارب السابقة أنه صاحب ضمير حي ، وأنه مسئول ليس من الصنف الذي يهدف إلى تقفيل الدوسيهات بأي

للمحكمة ، فقضت المحكمة بحبسه وحكمت عليه ، وفي نفس الوقت بالإفراج عن ولعة المكوجى .. أقصد سيد بكر المكوجى !

المفقود والمولود

أبرز ما يلفت النظر فى قضية بكر المكوجى هو امتنانه الشديد لرجال المباحث وشكره العميق للقاضى الذى حكم بالإفراج عنه ، وإن كان قد أرجع هذه المعجزة إلى قدرة الله تعالى إكراما لعلاقة بكر القوية بأولياء الله الصالحين . لم يغضب بكر لأنه سجن بلا سبب ، بل اعتبر نفسه من السعداء المحظوظين . لأن بسطاء الناس فى مصر لديهم اعتقاد بأن فى مسألة السجن .. الداخلى مفقود والخارج مولود . وما دام القدر حكم عليه بالسجن ، فالوضع الطبيعى أن يكون من المفقودين ، ولكن الله القادر على كل شىء شاء له الخروج ، فهو إذن من المولودين ، وينبغى لمن كان فى مثل وضعه أن يكون من الشاكركين . أما لماذا دخل ؟ ولماذا خرج ؟ باعتبار أن أقدارنا بيد السماء العالية يا نهر البنفسج .. على رأى زكريا الحجاوى !

ولعة الإيرلندى

والاكادة أن حادث ولعة يحدث كثيرا فى بلد كبريطانيا . منذ عدة سنوات أمر النائب العام البريطانى بالإفراج فورا

عن خمسة نزلاء من السجن بعد أن قضوا ١٧ عاما خلف الأسوار . وكان رجال اسكوتلانديارد قد ألقوا القبض على الخمسة واتهمتهم بنسف أحد البارات فى مدينة برمنجهام . وهو الحادث الذى أسفر عن قتل وجرح العشرات . ولسوء حظ الرجال الخمسة فقد كانوا جميعا من إيرلندا . وكانت المعركة محتدمة وقتئذ بين الحكومة البريطانية وثورايرلندا . وجمع بوليس اسكوتلانديارد الأدلة التى تكفى لإدانتهم ، وهى الأدلة التى أقنعت المحكمة فحكمت عليهم بالسجن مدى الحياة . ولكن من حسن حظ هؤلاء الخمسة أن رجلا صاحب ضمير حى جلس بالصدقة على مقعد النائب العمومى البريطانى ، وتصادف أنه تلقى مذكرة من أحد المحامين الذين قاموا بالدفاع عن المتهمين منذ البداية ، وعلى الفور قرر النائب العمومى فتح الملفات القديمة . ودراسة القضية من جديد بعد مرور ١٧ عاما .

قرار الإفراج

وقضى الرجل حوالى العام فى دراسة القضية ، واكتشف فى النهاية مدى الظلم الذى وقع على الرجال الخمسة . فالأدلة التى قدمتها اسكوتلانديارد لا تقف على أقدام ، واكتشف أيضا أن هيئة المحكمة تعجلت النطق

بالحكم لامتنعاص غضب الجماهير ، لأنها كانت قضية رأى عام وضحايا بار برمنجهام كانوا كلهم من الأبرياء ولم يكن لهم ناقة ولا جمل فى المعركة الدائرة بين ثوار ايرلندا والحكومة البريطانية . ولم يتردد النائب العمومى بعد اقتناعه بالنتيجة التى اكتشفها فى التوقيع على قرار الإفراج عن السجناء الخمسة . وبالفعل أطلقوا سراحهم ، ويوم الإفراج عنهم كان صعبا وقفاته كيوم شفق زهران . خرج المساجين الخمسة بعد ١٧ سنة خلف الأسوار عقابا لهم على جريمة لم يرتكبوها ، وكان ذنبهم أنهم من أهل ايرلندا .. ويوم الإفراج عنهم أعد لهم البوليس منصة صغيرة وميكروفونا وسمح لهم بالحديث علنا وعلى رؤوس الأشهاد . وهاجم الرجال الخمسة البوليس وقالوا فيه أضعاف ما قال مالك فى الخمر . واكتشف الذين شاهدوا المنظر أن بعضهم دخل السجن وهو فى الثلاثين من عمره وخرج منه شيخا لا يقوى على السير ، وأن اثنين منهم انتقلا من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الشيخوخة دون أن يمرا بالشباب !

مغتصب وقاتل

وإذا كان حادث بار برمنجهام قد وقع فى فترة السبعينات فقد وقع حادث مماثل أواخر التسعينات فى

لندن عندما أصدرت المحكمة العليا حكما بالافراج عن سجين قضى فى السجن ١٤ عاما و ٨ أشهر وأسبوعا واحدا . وكان الرجل قد دخل السجن بتهمة قتل ممرضة بعد اغتصابها .. وحكمت المحكمة عليه بالسجن مدى الحياة . ولكن المحامية التى باشرت الدفاع عن المتهم منذ البداية لم تكف عن تقديم العرائض بين الحين والآخر تطالب فيها بإعادة النظر فى القضية . وكانت آخر محاولاتها أمام المحكمة العليا التى قررت إعادة النظر فى القضية . وتم هذا بالفعل . وجاء حكم المحكمة العليا بالافراج عن السجين ، وجاء فى حيثيات الحكم أن الرجل الذى اتهم بجريمة الاغتصاب والقتل لم يكن له علاقة بهذه القضية فى أى وقت .. وبالفعل انفتح باب السجن وخرج الرجل بعد أن قضى داخل الزنازين ١٤ عاما و ٨ أشهر وأسبوعا واحدا !

الألوف تكفى

وهكذا نجد أن مئات من صنف ولعة فى أنحاء العالم وآخر واحد من صنف ولعة غادر سجنه فى لندن . وكلهم ولعة .. ولكن .. هناك فرق .. بينما يقضى ولعة المصرى وقته فى تقبيل يده ظهرا وبطنا لأن الله قدر ولطف ولأن العواقب جاءت سليمة ، نجد ولعة الانجليزى فى حادث

برمنجهام حصل على ٤ ملايين جنيه تعويضا عن المدة التي قضاها في السجن . أما ولعة الانجليزى الجديد الذى خرج من سجنه مؤخرا ، فقد سارع برفع دعوى يطالب فيها بتعويض قدره ١٠ ملايين جنيه . وسيحصل على نصفها بالتأكيد على الأقل . ما رأيكم لو أصدرنا تشريعا يحمى حقوق المساجين من أمثال ولعة ، ولا أطالب بصرف الملايين ، يكفى صرف الألواف .. ويكون التعويض بقدر المدة التي قضاها كل ولعة خلف الأسوار . على الأقل لكى نفكر على مهل قبل توجيه الاتهام !

الحاج فرج الله .. الانجليزى !

زمان عندما كنا تلاميذ فى مدرسة الجيزة الابتدائية كان من عادتنا أن نمارس لعبة كرة القدم ونحن فى الطريق إلى المدرسة نشوط بأحذيتنا أى شىء نصادفه فى طريقنا ، كوز صفيح شقة بطيخ ، قالب طوب ، زلطة ، نسخة قديمة من جريدة . وكانت كل جريدة تصدر فى عدد كبير من الصفحات تكفى لفرش مسجد . وذات صباح والعبد لله منسجم ومبسوط بعد طبق كشرى ممتاز ، رحنا أشق طريقى إلى المدرسة التى كانت تقع فى الطرف الجنوبى من المدينة . ولأن الحذاء كان جديدا ومتينا ، فقد رحنا أشوط كل شىء فى طريقى : مرة بيوز الحذاء ومرة ببطنه ومرة بجانبه . وفجأة رأيت فى وسط الشارع شيئا مستديرا فى حجم وشكل كرة التنس ، وكان موضوعا

بشكل يفرى (كابتن عظيم) مثلى بالتعامل معها على طريقة عبده نصحى وميمى درويش . ووقفت على مقربة من الشيء المستدير ، ثم تمطعت وتفرست على طريقة فؤاد المهندس ، وهُب على طريقة الكابتن لطيف . ولم أشعر بنفسى بعد ذلك . وأسرع بعض الجالسين على قهوة صابر فنقلونى داخل القهوة ورش بعضهم الماء على وجهى ، فلما عدت من الإغماء سمحوا للعبد الله بالانصراف ، وعدت إلى المنزل أحجل كغراب نوحى عجره ولد عابث بحجر . وعندما رأتنى الست الوالدة لطمت على وجهها ظنا منها أن سيارة نقل داست على ضناها وعلى كبدها . وعلى الفور حملنى المرحوم خالى وبعض الجيران وأسرعوا بى إلى الحارة التى تقع خلف حارتنا وأدخلونى منزلا تعلو بابه يفتة كبيرة « الشفا من الله .. الحاج فرج الله المجيراتى » .

وخسرت الحذاء

وبعد قليل دخل الحجرة التى أرقد فيها على دكة خشبية رجل فى حوالى الستين من عمره يضع على رأسه عمامة ويلف جسمه بعباءة سوداء من نفس النوع الذى يستخدمه عمد الريف فى مصر . وخلع الرجل

حذائى وراح يتحسس قدمى بأصابعه ، ورحت أنا الآخر أصرخ كلما ضغط بأصابعه ، ثم توقف الرجل لحظة وقال فى سعادة : الحمد لله ربنا قدر ولطف . واحتجت بعد ذلك إلى عدة جلسات تدليك بدهن معين من اختراع الرجل المجيراتى . وشفيت بعد ذلك وإن كنت قد خسرت حذائى إلى الأبد .

وقع هذا الحادث منذ ستين عاما . وكانت هذه هى أول مرة أتعامل فيها مع طبيب « الدكتور » الحاج فرج الله الذى يرفع شعار .. الشفاء من عند الله .

تقرير هيوستن

ولم أتعامل بعد ذلك مع أطباء من خريجي كلية طب الحاج فرج الله ، لأن المستشفيات انتشرت بعد ذلك والدكاترة افتتحوا عيادات فى كل مكان . لم أتصور فى أى لحظة أننى سأذهب بنفسى وعلى قدمى إلى عيادة الحاج فرج الله بعد مرور هذا الزمن الطويل . الحاج فرج الله لم أجده فى بولاق الدكرور أو منيل شبيحة ، ولكنى وجدت الحاج فرج الله الانجليزى .

وأصل الحكاية أننى أرسلت كل الأوراق التى تضم تفاصيل مرض ابنى أكرم إلى مستشفى هيوستن ، وحمل

دكتور الحقنى

وسلمنى الرجل إيصالا بالأجر الذى يتقاضاه ، وعندما القيت نظرة على الإيصال ادركت أنه ليس طبيبا وأنه ليس من خريجى كلية الطب ، وأن الجهاز الذى شاهدته فى عيادته هو كل مواهبه ومؤهلاته . وزيادة فى معرفة الحقيقة أجريت اتصالا بالدكتور هشام العيسوى وقلت له : هواجسى بأن الرجل الذى عرضنا عليه أكرم ليس طبيبا وكانت صدمتى شديدة عندما أكد الدكتور العيسوى هواجسى وظنونى .

يا للهول .. على رأى عمنا يوسف وهبى . ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين وبعد عمليات نقل الكبد ونقل القلب وزرع الرئتين واستنساخ النعجة دوللى ، بعد هذا كله أعرض ابنى الوحيد الذى عرضته من قبل على أطباء مايو كلينيك فى أمريكا ولندن كلينيك فى لندن ، أعرضه على هذا الدجال فرج الله الانجليزى . ورد الدكتور العيسوى فى هدوء . الانجليز عندهم مثل ممتاز . فلننتظر وسنرى . ثم قال لى فى هدوء أكثر .. كلمنى بعد أسبوع .

الأوراق الصديق الإنسان والوزير السابق أحمد نوح ، فهو معتاد على مراجعة أطبائه فى مستشفى هيوستن منذ سنوات . وعاد عمنا أحمد نوح بتقرير من المستشفى يحمل تشخيصا لمرض أكرم .. وذهبت إلى لندن مع أكرم استعدادا للسفر إلى أمريكا .

العيش والسكر

ولكن حدث أن اجتمعت ببعض الأطباء المصريين الذين يعيشون بالعاصمة البريطانية ، منهم الدكتور فايز بطرس والدكتور يسرى الجزار والدكتور محمد الوحش النجم الساطع فى الوقت الحالى فى لندن . واقترح الدكتور هشام العيسوى على العبد الله أن أعرض أكرم على أحد المشتغلين بالطب وهو انجليزى متخصص فى تشخيص الأمراض بدقة وفى وصف الدواء الذى يصلح لعلاجها . لم يكن فى عيادة الرجل إلا جهاز صناعة المانية ، يمسك المريض بجزء خارج من الجهاز يشبه الفتيس ، وبعد فترة من الضغط على الأزرار يعطى الرجل الوصفة المطلوبة للقضاء على مرضه الذى عذبه طويلا ، وصفة بسيطة وغريبة . ممنوع أكل الخبز وممنوع استخدام السكر ، لا شاي ولا مشروبات ولا ليمونادة ولا بغاشة ولا بلح ولا .. ولا .. ولا .. وداعا للسكر والعيش .

وتحققت المعجزة

ولكن .. ما هو مرض أكرم الذى دوخنى دوخة ينى ؟
 وجعلنى أطوف على كل عيادات الصدر والباطنية
 والأمراض النفسية ثم الجانى فى النهاية إلى زيارة الحاج
 فرج الله الانجليزى . كان فى البداية مرضا صدريا أفقده
 صوته وأدخله العناية المركزة عدة مرات ، ثم خلّصه الله
 من هذا المرض بواسطة اخصائى أمراض الصدر العبقري
 دكتور سيترون بمستشفى برومبتون . ثم خلّصه الله من
 بعض الأمراض الباطنة على يد أطباء مايو كلينيك .
 ولم يبق من مخلفات الحرب اللعينة بين أكرم والمرضى إلا
 بعض أعراض بسيطة ، كلما تناول طعاما شعر بضيق فى
 التنفس ودوخة ، وينتهى الأمر بتفريغ ما فى معدته من
 طعام . ولأننى كالغريق الذى يتعلق بقشة ، فقد قررت أن
 أنتظر وأرى كما نصحنى الدكتور العيسوى . وبالفعل
 انتظرت وعدت للاتصال بالدكتور العيسوى لأشكره ..
 صحيح .. الشفا من الله .. وليس من أى أحد آخر . عندما
 كف أكرم عن أكل الخبز ، وعندما ابتعد تماما بشكل
 حاسم عن السكر ، عاد شخصا سويا . لم يعد يشعر بعد
 الآن بضيق فى التنفس ، ولم يعد يشعر بالدوخة ، والزن
 الذى كان ينتابه فى رأسه ويشبه نباح كلب مسعور بعد

تناول وجبة الطعام اختفى بأمر ربي واستقر الطعام فى
 مكانه فلم يعد أكرم يشعر برغبة فى التراجع . وقلت
 للدكتور العيسوى .. يا سبحان الله .. نجح الحاج فرج الله
 فى علاج ما فشل فيه أعظم الأطباء . كان رد الدكتور
 العيسوى .. كل شيء بإنن ربي .. وكان تعليق الدكتور
 محمد الوحش .. هذا شيء لم نتعلمه فى الكتب الطبية
 ولا من خلال الممارسة العملية أما تعليق الدكتور فايز
 بطرس فكان على النحو التالى .. قال ضاحكا ..
 يا محمود .. أكرم كما سبق أن قلت لك ليس مريضا وهذا
 الرجل صاحب الجهاز ليس طبييا . ولذلك ليس غريبا أن
 ينجح الذى ليس طبييا مع الذى ليس مريضا.

وبعد .. ما رأى القراء وما رأى الأطباء . وعلى كل حال
 العبد لله العفى رحلته مع أكرم إلى مستشفى هيوستن
 اكتفاء بالتردد على عيادة الحاج فرج الله الإنجليزى
 وإيماننا بنظرية الشفاء من عند الله !

لواحد من خيار الناس ، وبالنسبة ليوسف والى بالذات .. فالرجل ليس من أحاد الناس ، إنه نائب رئيس الوزراء وهو أيضا سكرتير عام الحزب الحاكم .

وإذا كان يوسف والى خائنا ، فالواجب يفرض علينا محاكمة الجميع ، فكيف سمح النظام لأحد رموزه بارتكاب جريمة الخيانة إلا إذا كان الجميع خونة بلا استثناء ؟ فهل من حق الصحفي أن يتحول إلى مدع عام يوزع الاتهامات على الجميع دون سند أو دليل ؟ واتهام يوسف والى بالخيانة تردد على صفحات جريد الشعب وهى فى نفس الوقت لسان حال حزب العمل ، وهو حزب معارض ومن أحزاب الأقلية . ويقوده رجل من أشرف الرجال الذين يعظمون فى العمل السياسى والعمل الوطنى ، وهو المهندس إبراهيم شكرى . فهل السيد إبراهيم شكرى يوافق على أن تتحول جريدته إلى محكمة تفتيش ؟ فهذا خائن وهذا كافر وهذا زنديق . وذكرنى موقف تجزيدة الشعب بسلوك تنظيم شيوعى قديم كان الشيوعيون يطلقون عليه من باب السخرية « تنظيم مشمش » وكان عدد الأعضاء فى تنظيم مشمش لا يزيدون على ثلاثين شخصا ، وكان عدد المعتقلين منهم لا يزيد على ٧ أشخاص ، مع أن المعتقل كان يوجد به

منظمة مشمش

العبد لله ضد حبس الصحفيين لآل ف سبب .
أولا لأن العبد لله صحفى ومن مصلحتى إلغاء عقوبة الحبس لأبناء هذه المهنة ، وثانيا لأنى جربت السجن ، وأستطيع أن أقول إن السجن أسوأ حادث يقع لإنسان ، ولكنى فى الوقت نفسه أرفض بشدة أن يتحول الصحفى إلى سلطة اتهام يوزع صنوك الغفران على بعض الناس ويتهم آخرين بالخيانة وبيع الأوطان .. لأن اتهام إنسان بالخيانة دون وجه حق هو دعوة صريحة لقتله .. لأن من حق أى مواطن يكتشف خيانة مواطن آخر أن يطلق النار على رأسه أو يرشق مطواة قرن غزال بين ضلوعه . ثم من هو الذى من حقه اتهام إنسان آخر بالخيانة دون وجه حق ؟ والجريمة .. جريمة الصحفى تكون أكبر عندما يكون الاتهام موجها

أكثر من ألفى شخص ينتمون إلى تنظيمات حدثت والراية
وعمال وفلاحين وطلبة الشيوعيين . ولكنى لاحظت أن
الأعضاء السبعة من تنظيم مشمش لا يتكلمون مع أى
شخص آخر ، كانوا أحيانا يتبادلون الحديث مع العبد لله ،
ربما لأنهم كانوا متأكدين من أننى لست منضمًا لآى
تنظيم . طيب .. ولماذا لا تتحدثون مع الشيوعيين
الآخرين ؟ هكذا سألت أحدهم مرة ، وكانت دهشتى
عظيمة عندما جاءنى الجواب : قال عضو مشمش لا فـض
فوه ومات حاسدوه : لأن هؤلاء جميعا بوليس . كل هؤلاء
من المثقفين والأدباء والصحفيين والعمال بوليس
ومهمتهم الوحيدة فى الحياة تعقب جماعة مشمش
 وإرسال التقارير عن تحركاتهم ولفئاتهم وهمساتهم إلى
المباحث المصرية والمباحث الفيدرالية الأمريكية والأسطول
السادس وحلف الأطلنطى . والغريب أن الجواب جاءنى
من زعيم مشمش بالإيجاب . قد لا تصدقنى ، ولكنها
الحقيقة التى لا ينكرها ولا ينفيها إلا المتعاطلون مع
البوليس .

وجريدة الشعب تقوم فى الوقت الحاضر بدور تنظيم
مشمش . فهى لسان حال حزب العمل كما قلت ، وهو
حزب معارض ومن الأقلية ، وجريدة الشعب توزع عدة

ألوف من النسخ فى كل عدد وفى شعب يزيد عدد سكانه
على ٦٠ مليون نسمة . فهل من حق من كان فى مثل هذا
الوضع أن يتهم الناس بالخيانة والعمالة ، وأن يصدر
ضدهم حكما لا يقبل المعارضة ولا استثناء ؟ إن النائب
العام هو الوحيد الذى من حقه توجيه مثل هذا الاتهام .
ولكن حتى مثل هذا الاتهام الصادر من النائب العام يبقى
مجرد اتهام حتى تصدر المحكمة حكمها وبعد أن تمنح
الفرصة للمتهم أن يدافع عن نفسه . فهل منحت جريدة
الشعب الفرصة للدكتور يوسف والى لكى يدافع عن
نفسه ؟ أم اكتفت بإصدار حكمها على الرجل بالخيانة ؟
على أساس أنها مسألة لا تحتاج إلى دليل أو إثبات .
وأقول لكم بصراحة .. العبد لله لم يكن منزعجا عندما
اتهمت جريدة الشعب السيد حسن الألفى وزير الداخلية
السابق بالتربح واستغلال النفوذ . لأن كل موظف عام
يمارس ما يمكن أن يجعله عرضه لتوجيه مثل هذا الاتهام
إليه . فإن ثبت صحة الاتهام ، فللجريدة أجران ، لأنها
اجتهدت وأصابت . أما إذا كان اجتهادها خاطئا ، فالعقوبة
فى الدول التى اخترعت الصحافة هى الغرامة . وهى
غرامة تجعل من كل صحفى أكثر حذرا من السنجاب ،
وأكثر نوما من الكسفى ، لأنها غرامة قد تؤدى إلى إفلاس
الجريدة وإغلاقها بالضربة والمفتاح . هذا فى حالة اتهام

موظف عام بالرشوة والتربح . ولكن الاتهام بالخيانة شيء آخر . فليس هناك علاج للخيانة إلا بتصفيته ، وليس من حق الخائن أن يعيش بيننا يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشى بين الناس فى الأسواق . طيب .. كيف الخروج من هذا المأزق الذى نواجهه الآن ؟ مع التسليم بأن الصحفيين الذين صدرت ضدّهم أحكام بالسجن ارتكبوا جريمة فى حق مواطن شريف . هو يوسف والى . لا بد من التسليم بهذه الحقيقة مع حرصنا فى الوقت نفسه على عدم سجن الصحفيين فى قضية نشر . وفى رأى العبد لله أن نشر جريدة الشعب اعتذارا للدكتور يوسف والى بأقلام هؤلاء الزملاء الذين اتهموه ، ليس على صفحات عدد واحد ، ولكن على صفحات ٣ أعداد متتالية ، وأن يكون الاعتذار واقيا وكافيا لإرضاء الرجل الذى اتهموه بالخيانة . وإذا حدث هذا فصافى يا لبن .

والعبد لله سيكون أول من يتوجه للدكتور يوسف والى أناشده ضرورة القبول بالاعتذار وقبوله العفو عن هؤلاء الذين اتهموه .. وليكن هذا الموقف درسا لكل الصحفيين . فاتهم الناس بالخيانة ليس بالأمر الهين . ولا بد أن يكون للمجلس الأعلى للصحافة دور فى وقف مثل هذه الحملات إذا تجاوزت كل الحدود ، لأن دور المجلس الأعلى

للصحافة الآن يشبه دور قوات الأمم المتحدة فى جنوب لبنان ، مهمتها هى مشاهدة طائرات إسرائيل وهى تقصف قرى الجنوب اللبنانى ومتابعة مدافع اليهود وهى تدك أحياء مدينة صور وقرى إقليم التفاح .. ثم تقرير . بما حدث وبدون تعليق ! مع أن الواجب كان يقتضى أن يتدخل المجلس لفض هذه المعركة فى بدايتها وقبل أن تتطور ، خصوصا وعلى رأس المجلس رجل فاضل هو الدكتور مصطفى كمال حلمى وهو على صلة طيبة بالجميع . ولكن الذى حدث أن المجلس صمت والجميع وقفوا يتفرجون حتى خيل للبعض أن بعض أجنحة فى السلطة تقف وراء الحملة بالتحريض والتشجيع المرة الوحيدة التى رأيت فيها محاولة لوقف هذا السلوك الصحفى المرفوض جاءت من جانب الزميل مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين السابق ، وعندما استهجن بشدة تصرفات جريدة الشعب باتهام أحد رموز النظام بالخيانة . وقد حدث هذا فى مواجهة الزميل مجدى أحمد حسين رئيس تحرير الجريدة . كان من واجب المجلس الأعلى انتهاز الفرصة فى تلك اللحظة وبحث الأمر قبل أن يتطور إلى الحد الذى انتهى إليه .

وبعد .. فإن الاقتراح الذى عرضه العبد لله فى السطور

السابقة هو حل عملي للخروج من هذه الورطة ، أقصد خروجنا كصحفيين من الورطة التي وضعنا أنفسنا فيها . اعتذار جريدة الشعب للمواطن الفاضل المتهم بالخيانة على مدى أشهر ، اعتذار على صفحات ثلاثة أعداد وبأقلام السادة الزملاء الذين اتهموا الرجل الفاضل بهذه التهمة النكراء ، وبعدها يكون من حقنا أن نطلب بوقف تنفيذ الحكم وعدم تنفيذ عقوبة السجن في أى قضية نشر قادمة . أما قبل نشر مثل هذا الاعتذار فنكون كمن يطلب للسادة الصحفيين امتيازاً كامتياز السادة المستعمرين أيام زمان . وهو وضع لا أحد يقبله ولا أحد يرضاه . ويا حضرات الزملاء الصحفيين .. اتهموا الناس بأى تهمة إلا الخيانة ، فالخيانة ليست تهمة ، إنها حكم بالإعدام ودعوة لكل الناس لتنفيذه فى أى وقت وفى أى مكان .

ومن ينفذه دخل الجنة وعلى رأسه قنديل .. وقيل قنديلان !

شهر الأحران !

أشد المواقف تعذيباً للنفس هو الوقوف فى طوابير الانتظار ، والطوابير التى أقصدها ليست طابور المسافرين بالطائرة إلى أوروبا أو طابور الجمعية الاستهلاكية للحصول على الحصة المقررة من اللحم والفراخ ، ولكن الطابور الذى أقصده هو طابور الحياة نفسها ، الطابور الذى يصطف فيه البشر انتظاراً لطلب الاستدعاء الذى فرضته نظرية الحياة على صنف البنى آدمين . نظرية الشروق والغروب والبداية والنهاية ، والميلاد والموت .

ومع أننا جميعاً منتظرون فى الطابور منذ لحظة الميلاد إلا أن الناس لأنهم آخر طمع وآخر جشع ينسون هذه الحقيقة أو يحاولون نسيانها ، ولكى تستمر الحياة فلا بد

من الصراع من أجلها . البعض يصارع من أجل الثروة ،
والبعض يصارع من أجل الثورة ، ناس تسعى على أكل
عيشها وناس تسعى من أجل المليون الرابع . وفي ذروة
الصبا والشباب ينسى الجميع أنهم في الطابور وأنهم في
انتظار طلبات الاستدعاء . ويتصور بعض الحنجية أثناء
السابق أن موت الآخرين هو نتيجة فشل أو خيبة أو سوء
حظ ، كراكب الطائرة الذي يمسك في يده جريدة الخبر
الرئيسي فيها عن سقوط طائرة وموت جميع ركابها ،
وبالرغم من ذلك يصعد السلم ويستقر على مقعده ويربط
الحزام ، على أساس أن ما جرى للآخرين لن يجرى
عليه ، ليه ؟ لأنه حدق وعينه مفتوحة لحظة بمب وصحته
أيضا ورزقه في رجليه وسيعيش حتى لنهاية وسيشرف
بنفسه على دفن الآخرين !

الوظيفة هي الحياة

ولكن هذا الغرور الوقع يبدأ في التعامل مع الحياة
بتواضع بعد سن الستين . فالستون بمثابة إنذار جاد جدا
خصوصا للسادة الموظفين ! سن الستين هي نهاية الحياة
المعتادة التي تبدأ بالخروج من البيت والوصول إلى المكتب

وشرب القهوة وقراءة الجريدة ثم دخول المتعاملين ..
المرتعش والمتخلف والمحتاج والمتوسل والشريف والكذاب
والنصاب وصاحب الفلوس وصاحب النفوذ ، ثم فترة
المساء على القهوة وشرب الشيشة ومسح الجزمة وشراء
ورقة اليانصيب ، ثم غدا يوم آخر ثم يو آخر ثم يوم آخر
والى سن الستين ، وبعدها يفقد الموظف وظيفته وغالبا
يفقد حياته في العام التالي مباشرة ، فإذا كان الموظف
حسن الحظ ففي العام الذي يليه !

سوابق العبد لله

ولذلك يعيش الحكام والمهنيون والفنانون والأدباء
ورجال الأعمال والصياع وقتا أطول من زمن الموظف ،
ولكن بعد السبعين يصبح الشعور بالقلق والانتظار في
الطابور أصعب وأكثر مرارة ، فهذا وقت الاستدعاء .
الخطابات تم تحريرها ، ولكن البريد أحيانا يسرع وأحيانا
يتلكأ . والعبد لله في هذا المرحلة من الحياة الآن ، أحيانا
أنسى وأنهمك في الحياة وكأننى سأعيش أبدا ، وأتفق
على مشروعات قد تستغرق عشرة أعوم ، ثم تنهال على
رأسى ضربات شديدة موجعة وموحية أيضا ؛ ضربة من

هنا وضربة من هناك ، يصل طلب الاستدعاء فجأة إلى زميل أو صديق من جيل العبد لله . أحيانا تكون الصلة بعيدة فلا أشعر بالوجع ، وأحيانا تكون الصلة قريبة فأشعر أن الذى استدعوه هو العبد لله وسوابقى فى الحياة تضاعف هذا الإحساس . ذات يوم بعيد جاءوا بكشف للإفراج عن بعض المعتقلين من معتقل الواحات ، وتمنيت على الله أن يكون اسمى أول الأسماء ، ثم راحوا يتلون الأسماء ، اسم ورا اسم وقلبي يهبط مع كل اسم ينطقون به حتى خرج قلبي من كعب قدمي ، وقبل أن يطووا الورقة نطقوا اسم العبد لله ، ولكنى لم أسمعته لأنى كنت قد فقدت الحواس الخمس . مرة أخرى جاءوا بكشف يضم عدة أسماء مطلوب ترحيلهم من معتقل كلية الشرطة إلى سجن القلعة ، ولحكمة يعلمها الله كان إسمى هو أول الأسماء . المسائل ماشية بالعكس مع العبد لله لسبب لا أدريه . عندما أطلب التأجيل أجد نفسى فى المقدمة، وعندما أطلب التقديم أجد نفسى فى آخر الصف !

جلال وشوقى

وشهر مارس بالذات وبالنسبة للعبد لله هو شهر الأحزان ، ومارس الجارى الذى نحن فيه وجه لى عدة

ضربات موجعة ولا ضربات هولفيلد فى رأس تايسون .. وصلت طلبات الاستدعاء إلى اثنين من رفاق الرحلة ، اثنان من جيل العبد لله . بلبل الإذاعة جلال معوض والشاعر الغنائى والكاتب المسرحى عبد الرحمن شوقى . وجلال معوض بالذات كان علامة على عصره ، وكان عقائديا بدون شعارات وبدون أيديولوجيات ولم يرتكب جريمة قتل الآخرين على الهوية ، وظل إلى آخر لحظة فى حياته صديقا للجميع ، وكان من بين أصدقائه أمراء وشعراء وفنانون ومطربون ونشالون ورجال أعمال وثوار وصياع على باب الكريم .. كان كالنسمة الطرية فى ليلة صيف حارة ، ومثل كوب ماء مثلج فى صحراء الواحات . ولم يتنازل عن مبادئه قط ولم يتاجر فيها أيضا ، وكما أراح الناس فى حياته أراحهم فى موته . لم يتعذب ولم يعذب أحدا ، وذهب الصديق الطيب جلال معوض فجأة ، وحرمتنى الظروف الصعبة من أن ألقى عليه نظرة الوداع .

عصايات النقد

أما عبد الرحمن شوقى الموهوب المهذب فهو صديقى قبل أن يكون صهرى ، وهو كاتب ممتاز ومنحاز

للجماهير ، ولكنه غير منتم ، وعصابات النقد فى بلادنا
مثل عصابات دلنجر وآل كابونى تفسح الطريق للشلة
بالرصاص ولا تهتم بمن يلقى مصرعه ، وهم يفتحون
السكة إلى البنك أو إلى المطبوعة .. لا فرق . ولأن
عبد الرحمن شوقى ينتمى إلى جيل الستينات ، فقد
اكتشف فجأة أنه لم يعد يطرب أحدا فى التسعينات . فى
المسرح يبحثون عن الراقصة أولا ثم عن النص بعد ذلك .
فإذا توافرت الراقصة فلا داعى للنص على الإطلاق ، وفى
التليفزيون يبحثون أولا عن المنتج المنفذ ثم عن النجوم ثم
بعد ذلك أى ورق وأى مؤلف .. ولولا أسامة أنور عكاشة
فى التليفزيون ووحيد حامد فى السينما ، ولولا عادل
إمام ومحمد صبحى فى المسرح لقلنا إن الفن المصرى
صار إلى زوال ، وسقط عبد الرحمن شوقى مريضا ثم
رحل عن دنيانا بعد صراع طويل مع المرض اللعين .
والعذاب الذى عاناه عبد الرحمن شوقى فى الأسابيع
الآخيرة جعلنى أسأل الله أن تكون النهاية سريعة وخاطفة
كلمح البصر .

رحم الله جيل العبد لله الذين وصلتهم خطابات

الاستدعاء وفرضوا على العبد لله الانتظار مرتعشا فى
الصف الطويل انتظارا لساعى البريد ، الذى أرجو أن
يتأخر . فبالرغم من كل شىء وأى شىء الحياة أحسن
وأفضل حتى فى أحط درجاتها وفى أحقر مستوياتها ..
وهو المعنى الذى أبرزه الكاتب الأمريكى (أدوين شو)
[الموتى يرفضون الدفن] حيث رفض بعض الجنود
الدفن بعد أن قتلهم رصاص العداء ، وكان من بينهم
عسكرى صعلوك شديد الفقر شديد الغلب كثير المشاكل ،
ونهره الشاويش وهو على باب القبر .. حتى أنت ترفض
الدفن ، لقد كانت حياتك المدنية قطعة من العذاب . كنت
صعلوكا لا تجد ما تأكله ، وكنت تشرب ما يتبقى فى
أكواب الشاربين ، وإذا أكلت فمن صناديق القمامة مع
القطط والكلاب ، وكانت أعقاب السجائر هى كل
ما تستطيع الحصول عليه ، والآن ترفض الدفن وتريد
العودة إلى تلك الحياة . هل تستطيع أن تقنعنى بسبب
واحد يدفعك إلى التمسك بالحياة ؟ ورد الجندى الذى كان
صعلوكا قبل الجندية : لقد كانت حياتى وأنا أحبها . هذا
هو الكلام المفيد .. لقد كانت حياتى وأنا أحبها . وإذا كان

عمنا أبو العلاء المعري قد هاجم هذا الصنف من الناس
قائلا :

تعب كلها الحياة فما

أعجب إلا من راغب في ازدياد

وكلما قرأت هذا البيت شعرت أن بيني وبين
أبي العلاء ثارا لا يهدأ ، فهو لا يقصد أحدا بهذا البيت إلا
العبد لله . فانا الراغب في ازدياد رغم التعب ورغم النكد
ورغم مؤتمر عبد العزيز البابطين وندوات تليفزيون دبي
الدينية بقيادة مستشار شركات الريان والدكتور أشرف
السعد . وبالرغم من هذه المنغصات إلا أنها حياتي وأنا
أحبها اللهم أرجو أن تكون ساعة استجابة اللهم إنك على
كل شيء قدير !

الشغب والشغبوب

سألني أحدهم : هل صحيح هناك فرق بين
الشغب والشغبوب ؟ الشغب الأولى بتشديد
الشين وفتحها وفتح الغين ، والشغب الثانية
بتشديد الشين وتسكين الغين .. وهل صحيح
أن معنى الأولى يختلف كثيرا عن معنى الثانية ؟ فأجيب
الأخ السائل : نعم هناك فرق بالتأكيد ، والذي وضع يده
على هذه الحقيقة هو العالم المصري ابن منظور في
قاموسه الرائع لسان العرب ، وهو عمدة القواميس
العربية في كل العصور . عمنا ابن منظور حدد الشغب
بأنه تمرد العامة أو الحرافيش أو الدهماء يعني كدة زى
الهبية التي حدثت في زمن الرئيس أنور السادات . والتي
وصفها السادات بأنها هبة الحرامية . أما الشغب بتسكين
الغين فهو تمرد الجند شيء كده يشبه ما حدث في زائير

في عهد المأسوف على شيخوخته الجنرال سيسى سيكو .

حظ ابن منظور

وإذا طبقنا نظرية عمنا ابن منظور على ما يدور حولنا في أنحاء العالم فسنكتشف أن ما جرى في شوارع ماليزيا هو من نوع الشغب بفتح الغين ، وما جرى في شيلي على يد بينو شيه هو من نوع الشغب بتسكين الغين . ولكن عمنا ابن منظور لم يكن محظوظا لأن أيامه لم تطل على الأرض حتى يشهد المستجدات الجديدة في فن المشاغبة . فما يحدث الآن في شوارع أندونيسيا هو سكلانس من الشغب بفتح الغين وتسكينها وهو في حاجة إلى نحت كلمة جديدة لوصف الحالة إياها لقد حدث التحام وانسجام بين المشاغبين من العامة والمشاغبين من الجند ، وأهدى الطلبة باقيات الزهور للجنود الذين يسدون فوهات المدافع إلى صدورهم ثم تصافح الجميع وأصبح الجانبان سمنا على عسل .

لسان ابن سعدون

وهذا الموقف الجديد والغريب معا لم يرد له ذكر على صفحات لسان العرب للعلامة المصري ابن منظور . ولكن

مصر على كل حال ولادة ، وباعتبار العبد لله خليفة لعمنا ابن منظور ، فمن واجبي أن أضع تفسيراً لهذا التغيير الذي طرأ على المشاغبة وجرى تطبيقه عمليا على أرض أندونيسيا ، ويرى العبد لله أن أدق تعريف لهذا الذي يجرى في شوارع أندونيسيا هو الشغب بتشديد الشين وضمها وضم الغين أيضا فيقال وقع شُغب في المكان الفلاني ، فيفهم القارئ أن التمرد شمل جميع المشاغبين .. العامة والقوات الخاصة أيضا أهل الشارع وأهل السلطة . وأعد حضراتكم بمزيد من التفسير في كتابي القادم [لسان] للعلامة ابن سعدون الذي هو حضرتنا والذي هو أيضا على وزن ابن منظور !

كلهم عرب

أما لماذا كتابنا الجديد سيكون بعنوان لسان فقط دون ذكر العرب ؟ لأن كلمة لسان تغني عن كل شيء وسيفهم القارئ الذكي أن كلمة لسان فقط تعني العرب أيضا ، بعد أن اتضح أن العرب هم الجنس الوحيد الملسن على كوكب الأرض . الدليل على ذلك هو إعلان طارق عزيز أن طرد المقتشين الخواجهات من العراق لا رجعة فيه ، وأن الضربة الأمريكية المرتقبة لا تخيف أحدا ، وأن المرشال

عزيز سيخوض الحرب إذا فرضت عليه . ثم عاد المارشال نفسه بعد أيام قليلة ليعلن أن البعض أساء فهم تصريحاته ، وأنه كان يقصد أن المفتشين هم إخوان العراقيين وأنهم يستطيعون الدخول والخروج في أي وقت ، لأن حدود العراق مفتوحة لكل الإخوة العرب ، وهؤلاء المفتشون صاروا عربا بعد أن أمضوا في العراق العربية ٨ سنوات كاملة والقانون الإنجليزي مثلا يعطى الجنسية البريطانية لمن يقضى على أرض الجزر البريطانية ٤ سنوات فقط .

البندق والبنادق

والسلطة الفلسطينية أيضا أعلنت في ساعة تجلى أن الفلسطينيين سيشقون طريقهم نحو الدولة وعلى طريق القدس بالبنادق والخنادق ، ثم عادت وأعلنت بعد ٢٤ ساعة فقط أنه حدث سوء فهم للكلمات التي صدرت عن السلطة وأنها كانت تقصد أنها ستشق طريقها عن طريق البندق والفندق ، البندق بمناسبة شهر رمضان المبارك ، والفندق حيث تجتمع الوفود للمناقشة والمناغشة والملاعبية والمراعية ، يعنى تراعيني قيراط أراعيك قيراطين ، تعطيني ريق حلو أعطيك مستوطنة .

ولكن يبدو أننا ابتعدنا كثيرا عن بحثنا الرئيسي . كنا نتكلم عن الشُّغْب والشُّغْب والشُّغْب فاستغرقنا الحديث وأخذنا إلى مكان آخر .

هناك نوع جديد من الشغب لم يكن له وجود في دنيا الناس من قبل وهو شغب الحكومة ، وهو الشغب الذي تشهده المنكوبة أفغانستان . لأن حكومة طالبان هي المصدر الأساسي للشغب ، إنها حكومة مشاغبة ومنشعبة ومشغوبة أيضا إنها حكومة على رأس واجباتها تشجيع الإرهاب وحماية الإرهابيين ، والذى الرسمى للحكومة هو زى الإرهاب ولا بأس إذا أطلقنا عليها وصف شغبوب وعلى وزن شيبوب شقيق عنتر بن شداد .

الشغبوب والانترنت

وأبرز صفات شيبوب الذى أجاد تمثيله فى السينما المرحوم سعيد أبو بكر أنه كان شديد الحماس للشر ويحرص عليه ويفرح لأى مصيبة ويصفق لأى كارثة ويحمس الآخرين للقتال ثم يطلق ساقيه للريح عندما يبدأ المقاتلون فى استخراج السلاح . إن الحكومة الشغبوبية التى تحكم أفغانستان هى أول وآخر حكومة من نوعها على ظهر الأرض ولا أعتقد أنها ستستمر ، وليس هناك

احتمال لتكرارها في المستقبل ، ولذلك لا أرى داعيا لإهدار الورق في شرح كلمة شغبوب في كتابي الجديد « لسان » ويمكن الاكتفاء ببحثها على الانترنت ويمكن عقد ندوة ساحنة للنقاش حولها في إحدى القنوات المتخصصة في الشغبية فيتجاوز حولها ثلاثة أو أربعة ، بشرط أن تنشب المعركة حول الكلمة منذ أول لحظة من الندوة ، فلا تفهم شيئا ولا تميز شيئا سوى بعض الشتائم وبعض اللعنات . وتكون هذه الندوة هي التفسير الحقيقي لكلمة شغبوب !

الاعتذار المناسب !

هل تذكرون فيلم جسر على نهر كواي ؟ وهل شاهدتم على الشاشة مأساة العساكر البريطانيين الذين وقعوا في أسر الجيش الياباني ؟ عساكر أشبه بضحايا الجوع في أفريقيا . مجرد هياكل عظمية ، الأعشاب طعامهم والسراويل لباسهم ، وتسليحتهم الوحيدة هي العمل تحت أسوأ الظروف في بناء الجسر الذي كان الهدف من إنشائه سرعة وصول الأسلحة للجنود اليابانيين الذين يحاربون الجيش البريطاني في الأحرش البعيدة ، ومن منا لم يهتز لمنظر الجنرال الإنجليزي الذي حبسوه في حفرة تحت الأرض وفوق رأسه لوح من الصفيح تحت شمس حارقة بلغت الخمسين درجة مئوية . حدث هذا منذ ٥٥ عاما بالتحديد ، مئات من الجنود البريطانيين ماتوا

في هذا الجسر الذي كان الهدف من إنشائه سرعة وصول الأسلحة للجنود اليابانيين الذين يحاربون الجيش البريطاني في الأحرش البعيدة ، ومن منا لم يهتز لمنظر الجنرال الإنجليزي الذي حبسوه في حفرة تحت الأرض وفوق رأسه لوح من الصفيح تحت شمس حارقة بلغت الخمسين درجة مئوية . حدث هذا منذ ٥٥ عاما بالتحديد ، مئات من الجنود البريطانيين ماتوا

تحت وطأة التعذيب ، والذين عاشوا منهم حسدوا الذين انتقلوا إلى رحمة الله ، والجميع عانوا من وحشية الكولونيل الياباني الذي كان يدير معسكر الأسرى داخل إحدى الغابات على ضفة نهر كواي . وعندما طالبه الجنرال الإنجليزي بتطبيق اتفاقية جنيف في معاملة الأسرى ، أمسك الكولونيل الياباني بالاتفاقية وطوح بها بعيدا وتساءل في دهشة : وأين هي جنيف هذه ، هل هي في مكان ما داخل الغابات ؟ ثم بكى في النهاية واعتذر للجنرال الإنجليزي بعد أن أتم بناء الجسر . وقال له اعذرني .. لقد كنت بين نارين . إما أن أمارس القتل في الأسرى أو يقتلني الجنرالات اليابانيون الذين يقيمون في طوكيو ويعيشون هناك في التبات والنبات !

عودة الموتى

هذا الحادث الرهيب الذي وقع على ضفة نهر كواي بين تايلاند وبورما والذي كان أبطاله من الجنود البريطانيين تحولوا إلى أشباح بفعل الجوع والعمل الشاق والتعذيب . هؤلاء الجنود الذين كان يجب أن يغادروا بريطانيا منذ زمن بعيد بعثوا أحياء ورايتهم بعيني رأسي أحياء في شوارع لندن هذا الأسبوع . أما المناسبة فهي

زيارة أميراطور اليابان لبريطانيا . بدعوة من الملكة ، وبالرغم من استقبال الملكة له استقبالا رسميا ، وبالرغم من الدعوة التي وجهها رئيس الوزراء لشعبه بمنح الامبراطور استقبالا حارا ، إلا أن العساكر البريطانيين الذين أسرههم الجيش الياباني وخصوصا في المعسكر الذي حشدوا فيه العساكر لبناء جسر على نهر كواي . مئات من البريطانيين الأسرى احتشدوا على جانبي الطريق الذي اخترقه موكب الإمبراطور في عربة مكشوفة إلى جوار الملكة . وقد رفعوا لافتات تحمل شعارات معادية للامبراطور بينما تصاعدت هتافاتهم بسقوط اليابان ، وبعضها يطالب الامبراطور بالاعتذار عن الإهانات التي لحقت بأسرى الحرب على يد الجيش الياباني ، وبعضهم قام بإحراق العلم الياباني أمام العربة الملكية التي أقلت الملكة وضييفا الامبراطور !

وجبات الدود

المضحك في المؤتمر أن هؤلاء العساكر الذين اهتزت ضمائرنا لماساتهم وأصبحوا الآن من العجائز المحطمين ، وأصغرهم على أبواب الثمانين ، وبعضهم يزحف بخطوات سريعة نحو المائة ، بينهم جنرالات وكولونيلات

وكباتن وعساكر ، كلهم يعلقون على صدورهم أطنانا من الحديد هي أوسمة ونياشين حصلوا عليها بسبب شجاعتهم وبسالتهم في ميدان القتال . بعضهم يحجل وبعضهم يعرج وبعضهم يتوكأ على عصاه وقلة قليلة منهم يندفعون للأمام على مقاعد تسيير بالكهرباء . وبالرغم من العضلات الميتة والعيون التي انطفأ فيها النور والأيدى المرتعشة ، إلا أن نار الانتقام لم تخدم والرغبة في الثأر لم تفتقر ، أحدهم تجاوز الثمانين من العمر وكان برتبة كابتن قال في حواز تليفزيوني جرى معه في الشارع : اتهموني بإثارة الشغب وحبسوني في الحفرة وبعد يوم كامل شعرت بالجوع يفري أمعائى ، وعندما طلبت طعاما أتونى بطبق من دود الأرض كان حيا ويزحف بعصبية ، واضطرت تحت وطأة الجوع أن التهم الدود كله ، وحتى اليوم كلما تذكرت ما حدث فى هذا المساء شعرت برغبة فى القيء ، وقال آخر وهو شاب فى الخامسة والسبعين : كنت مصابا فى ساقى وجرحى خطير ومملوء بصديد ، وعندما أبلغتهم رفضى للعمل فى السجن دس الضابط اليابانى سيجارته المشتعلة فى جرحى ، ولا أعرف كيف نجوت من الموت ولا كيف واصلت الحياة حتى الآن. وقال آخر كان جنديا برتبة نفر :

لقد كان للقائد اليابانى قرد محبوس فى قفص ، وكانوا يطعمون القرد موزا وتفاحا وأعواد القصب ، وعندما انحنيت على الأرض ألتقط قشرة الموز التى قذف بها القرد من قفصه ، انتزع الجندى اليابانى القشرة من يدى ثم التقطها ومسح بها حذائه ثم سحقها بعد ذلك تحت حذائه فى الطين والتراب .

نصائح بلير

وفى المساء اضطر رئيس الوزراء بلير إلى مخاطبة الشعب البريطانى عبر التليفزيون ودعا إلى نسيان الماضى . لأن ما حدث فى الحرب العالمية كان صفحة سوداء ارتكبت فيها كل الجرائم على الجانبين ، ولكنها الآن انتهت وانطوت ، وعلى الجميع الآن أن يواجهوا الواقع الجديد بالعلاقات بين بريطانيا واليابان فى الوقت الحاضر هى علاقة صداقة وتعاون هدفها التنمية الاقتصادية وخلق وظائف جديدة . ولكن المحاربين القدماء لم يقتنعوا بوجهة نظر رئيس الوزراء وقالوا إن ما ارتكبه اليابانيون أثناء الحرب هى جرائم لا تغتفر ، وقالت إحدى المجندات . لقد عانيت من ظروف التعذيب فى الأسر مالا طاقة لبشر فى احتماله ، اشتغلت مضيضة

وخادمة وطباخة وخليفة لطيفة رغم أنفي ، ومع ذلك لم أحصل على قرش واحد تعويضا عما أصابني ، لا من الحكومة اليابانية ولا من الحكومة البريطانية . لقد تجاهلني الجميع واعتبروا ما حدث لي هو مجرد مصادفة سيئة .

الاعتذار المناسب

ويقول بعض الخبثاء إن ثورة المحاربين القدماء ليس هدفها الحقيقي هو الرغبة في الانتقام ، ولكن الهدف الحقيقي هو الحصول على التعويض . فاليابان هي أغنى دولة الآن على ظهر الأرض ، والإنجليز لا مؤاخذه أحوالهم ليست على ما يرام ، وهؤلاء الجنود الذين تعرضوا للتعذيب لديهم نياشين على قفا من يشيل ، ولكن ليس لديهم فلوس ، وهذه الحياة الجديدة بطلها الحقيقي ليس هو صاحب الشجاعة والشهامة ، ولكن بطل هذه المرحلة هو الدولار الأمريكى والجنيه الاسترلينى والفرنك السويسرى والين اليابانى . والبطل الحقيقي فى النظام العالمى الجديد ليس هو الذى يحمل أوسمة ولكن الذى يحمل دفتر شيكات . أما صاحب الأوسمة والنياشين فهو مجرد أنتيكا من زمن مضى . هل تعرفتم الآن على ملامح

النظام العالمى الجديد ؟ إنه ببساطة الفرق بين الكابتن آلن شيرر لاعب كرة القدم الذى اشتراه نادى نيوكاسل بعشرين مليون جنيه إسترلينى ، والمارشال مونتجمرى بطل معركة العلمين . الذى لو عرضوا أوسمته ونياشينه فى مزاد لتوقف الثمن عند عشرة آلاف جنيه فمن يا ترى هو البطل الآن ؟ إنه الكابتن شيرر وملايينه العشرون بكل تأكيد ، وقلبي مع المحاربين الإنجليز القدماء وأتمنى لهم هبة كدبرة من جيب الامبراطور ، ليسددوا الفواتير التى انتشرت بشكل وبائى فى بريطانيا ، وهذا يا سيدى الامبراطور هو الاعتذار الوحيد المناسب ، ولن يقبلوا أى اعتذار سواه !

لا فرق الآن

وفى إحدى القنوات الفضائية شاهدت برنامجا بين مذيعة كركورة من بتوع هذا الزمان وبين رجل مسن تعدى السبعين منذ سنوات ، وكان الحوار عن شهر رمضان أيام زمان ، وخير شهر رمضان أيام زمان ، ومتعة رمضان أيام زمان ثم الفارق بين رمضان زمان ورمضان هذا الزمان .

حيث أصبح رمضان الجديد يأتي ويروح دون أن يشعر به أو يستمتع بأجوائه التي كان يحس بها أيام زمان ، والغريب أن المذيعة الكركورة عامت مع الموج ووافقت على كلام العجوز ، وأبدت أسفها لأنها لم تدرك أيام زمان ولم تستمتع بمباهج زمان . هل كان الرجل العجوز يكذب ؟ بالتأكيد لا ، ولكنه أخطأ التحليل . فرمضان زمان كان امتع وأحسن ولكن لأسباب أخرى لم يستطع إدراكها الرجل العجوز .. فزمان كانت شوارع المدن مظلمة ، فإذا جاء رمضان اشتعلت الشوارع بالنور ، نور من بتاع الحكومة ونور قطاع خاص على حساب الناس . ولذلك كان رمضان فرصة عظيمة أمام العيال

أهلا رمضان !

أعرف ناسا لا يزالون على قيد الحياة اضطروا ذات مساء إلى سلف جلابية جزار كان عالقا بها بقايا قطع لحم وبقع دم وعملوا فقة على مرق الجلابية وفطروا وانبسطوا وحمدوا الله . واعرف نجما من نجوم المجتمع مات منذ سنوات كانت أمه ترسله وهو صبي صغير يطوف حول مزارع كلية الزراعة يلتقط لها الديوك الرومي الميته التي تلقى بها المزرعة خارج الأسوار . وبعض رجال الأعمال المشاهير الآن كانوا حرفيين في أيام الصبا المبكر ، وبعضهم كان من رواد قهوة الموظفين بتاعة الفنان صلاح جاهين .

والصبية الصغار فى ممارسة اللعب حتى ساعة متأخرة من الليل . وفى غير رمضان كان راديو القاهرة ينهى إرساله فى الحادية عشرة مساء ، ولكنه فى رمضان كان يواصل إرساله حتى الفجر ، وكانت المحلات العامة تغلق أبوابها فى منتصف الليل بالضبط ، وكان عساكر زمان بتتوع الضبط والربط يحرصون على تنفيذ الأوامر ، فلا تجد دكانا مفتوحا بعد منتصف الليل بثانية أما فى رمضان فالسهر مباح والقهاوى منورة وعامرة حتى الصباح ، وفى غير رمضان أيام زمان كنا نحرص ونحن فى أيام الصبا على الذهاب إلى العتبة الخضراء لكى نتناول طبقا من الكنافة من محل الحاج صبحى فى شارع عبد العزيز ، وكان هذا اليوم من أول كل شهر يعتبر عيدا سعيدا لنا نحن أطفال ذلك الزمان . زمن الثلاثينات والأربعينات حتى فى الخمسينات . كنا نحن أبناء الموظفين والعمال لا نحلم بأكل اللحم مرة كل أسبوع وأصحاب الحظ السعيد يأكلونها مرتين كل أسبوع . أما فى رمضان فكان اللحم طبقا رئيسيا على مائدة الإفطار كل يوم ، لذلك كانت بهجة رمضان أعظم ولذته أكبر ، وكان الفرق واضحا بين رمضان وغيره من الشهور والأيام .

الحفيد والفيديو

أما الآن ، فلا يوجد فرق بين رمضان وغير رمضان ، الشوارع منورة ليلا ونهارا أيضا ، والقهاوى مفتوحة على مدى الأربع والعشرين ساعة بلا انقطاع ، الإذاعات المحلية والعربية والدولية لا تكف عن الإرسال ، والقنوات التليفزيونية الفضائية العربية والدولية مفتوحة على ودنه ، مسلسلات على برامج على أخبار على مباريات ، ومحلات الكنافة أكثر من محلات اللب . لم تعد لرمضان مباح يختص بها وليس لها وجود فى غير رمضان . أصبحت كل شهورنا رمضان . ولم نعد نحتاج للذهاب عند شاطئ النيل لنشاهد إطلاق مدفع رمضان ، وبعدها نهروا إلى منازلنا لنبشروهم بأن مدفع الإفطار انطلق منذ لحظات لأن كل شارع فى القاهرة وفى المدن به عشر ميكروفونات على الأقل ترفع أذان المغرب وكل أذان . وكنا نضطر ونحن فى سن الشباب إلى الذهاب إلى مسجد الحسين ومسجد السيدة زينب نستمع إلى التلاوة من مشاهير المقرئين فى الحفلات الدينية التى كانت تقام خلال الشهر المبارك . أما الآن فتستطيع أن تستمع لمن

تشاء من الإذاعات ومن التليفزيونات والكاسيتات
واسطوانات الليزر ومن خلال أجهزة الفيديو التي يجيد
التعامل معها حفيدي أكرم وأفضل في التعامل معها حتى
الآن .

سلم الترمای

تغير الزمان وتغيرت الايام وتغيرت الأحوال ، ولكن
بعض الناس تحن إلى أيام زمان ، مع أن أيام زمان كانت
آخر غم وآخر غلب وآخر فقر وآخر جفاف . وفي
الثلاثينات من هذا القرن كان جدى الشيخ معوض يأتى
إلى القاهرة فى مركب شراعى ويحتاج لعدة أيام للوصول
إلى القاهرة .

صدقونى إذا قلت لكم أيامكم أفضل وأجمل ، وأن
الحياة صارت سهلة حتى بالنسبة لأفقر الفقراء ، ونصف
الشعب المصرى على الأقل سافر خارج الحدود ، البعض
للعمل والبعض لمهمة والبعض للسياحة والبعض للعلاج ،
وزمان عاش الملايين وماتوا دون أن يغادروا قراهم أو
مدنهم ، ولم يحلموا يوما بمغادرتها إلى أى مكان ، وأحد
أعمامى سافر إلى الخارج عندما اختطفته السلطة للعمل

فى فلسطين بالسخرة لخدمة المجهود الحربى فى الحرب
العالمية الأولى وبدون أجر على الإطلاق . وأفراد شلتنا
كانت ظروفهم متشابهة مع أن أولياء أمورنا كانوا
يعملون فى مهن مختلفة ، منهم العمال ومنهم الموظفون
ومنهم الضباط . وكنا ونحن طلبة نتحسس جيوبنا قبل
أن نفكر فى الجلوس على القهوة ، وفى أوقات كثيرة كنا
نعود إلى بيوتنا بعد مشاهدة السينما شعبطة على سلم
الترماى .

مرحبا بالمستقبل

وأقول لشباب هذا الأيام ، ظروفكم أسعد من ظروفنا ،
وأحوالكم أحسن من أحوالنا ، بالرغم من عدم وجود
شغل وعدم وجود وظائف . صحيح أن الشقة زمان كانت
بثمانين قرشا ولكن أصحاب البيوت كانوا يطلقون البخور
لاجتذاب السكان لأن الثمانين قرشا لم تكن متوافرة لأى
شباب ، وكل الذين ترونهم الآن من المشاهير والمنتقدين
كتبوا فى شبابهم طلبات استخدام لرئيس المصلحة أو
رئيس الشركة يطلبون عملا . وجعلكم الله زخرا للعاطلين
والفقراء وكنا فى شبابنا المبكر نتفادى المرور فى بعض

الشوارع هربا من القهوجى وصاحب دكان السجاير .

لا تصدقوا أيها الخلان ما يقال لكم عن رخاء أيام زمان
وبلهنية العيش زمان ، والوفرة أيام زمان ، فلم يكن ينعم
بالعيش أيام زمان إلا حفنة من البشوات وحفنة من
البكوات وعدد من عمد الزيف وأعيان البلاد . ومعهم
بالطبع عدد كبير من الخواجات أصحاب المصانع والمزارع
وبعض اليهود أصحاب دكاكين الفضة والذهب الرنان .

أسأل الله أن يعذبهم جميعا بقدر ما امتصوا من دم
شعبنا فى سالف الأيام . ومرحبا بالأجيال الجديدة
السعيدة المقبلة !

الفهرس

الصفحة

- مقدمة (٥)
- مسافر بلا متاع (١١)
- لا جريدة ولا مجلة (١٩)
- طويل العمر (٢٥)
- حكومة وعكومة (٣٣)
- لعبة غزالي ! (٣٩)
- وتكلم السيف ! (٤٦)
- ضغط الدم (٥٣)
- الطفل التائر (٦١)
- الأطلنطى وفاسو ! (٦٨)
- ترعة المانش (٧٤)
- حلاوة زمان ! (٨٣)

الصفحة

- البركان .. والفاسو ! (٩٤)
- الولد ولعة ! (١٠٠)
- الحاج فرج الله .. الإنجليزى ! (١٠٧)
- منظمة مشمش (١١٤)
- شهر الأحران ! (١٢١)
- الشغب والشغبوب ! (١٢٩)
- الاعتذار المناسب ! (١٣٥)
- أهلا رمضان ! (١٤٢)